

٢٥١

البيت الذي شيّده سويفت

تأليف: غريغوري غورين
ترجمة وتقديم: ثائر ديب
مراجعة: د. أحمد البكري

أول أغسطس ١٩٩١

عدد خاص بمناسبة الذكرى الأولى للغزو
العراقي الغاشم على دولة الكويت

تصدر عن
وزارة
الإعلام
الكويت

8

سلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

حمد يوسف الرّومي
وكيل وزارة الاعلام

د. محمّد مبارك بلال
رئيس قسم النقد والأدب المسرحي
المعهد العالي للفنون المسرحية

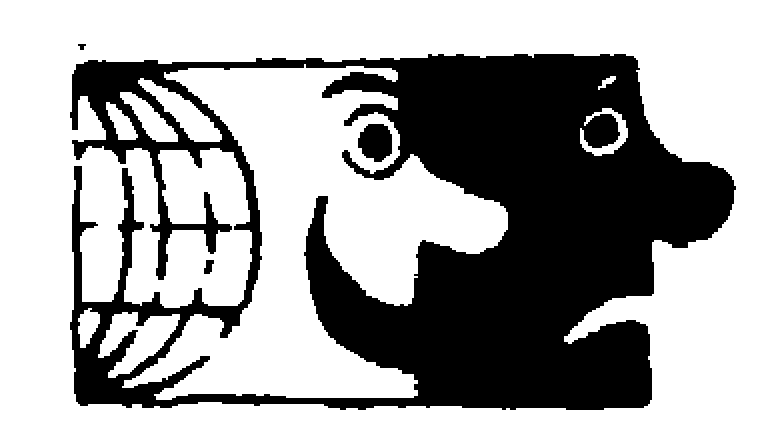
المراسلات باسم:

السيد / وكيل وزارة الاعلام
وزارة الاعلام
ص . ب ١٩٣
الرمز البريدى 13002 الكويت

اهداءات ٢٠٠٢

د/ ابراهيم مصطفى ابراهيم
كلية الاداب –دمنهور

٢٥١



من المسرح العالمي

البيت الذي شيّده سويفت

تأليف : غريغوري غورين

ترجمة وتقديم: ثائر ديب

مراجعة : د. أحمد البكري

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

الاصدار الأول بعد التحرير : الكويت حرة وأبية

منذ الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ شهدت الكويت والعالم أجمع أبشع الممارسات الوحشية على يد النظام العراقي الحاقد ، الذي رسم بغزوه واحتلاله لبلدنا الحبيب ـ صوراً قاتمة من التخلف والروح الوصولية : لقد كانت الهجمة موجهة أساساً إلي كل ما هو كويتي ، وعلى شتى المستويات ؛ فعلى المستوى الانساني ، دفعت الكويت ثمناً باهظاً من شهدائها البررة ، حيث سالت دماء آلاف الكويتيين الأبرياء ، من رجال ونساء وأطفال ، لتروي ثرى وطننا الحبيب . كما مارس العراقيون متعتهم الشيطانية بأخذ الأسرى الأبرياء إلي العراق ، دون أية اعتبارات للسن أو الجنس أو المركز ؛ فأقتيدت أسر بأكملها قسراً إلى العراق ، ضمت نساءاً وأطفالا وشيوخاً ، كما قبض على الشباب دون أية مبررات ، سوى كونهم كويتيين . ثم مورس عليهم أبشع أساليب التعذيب البربرية ، ومع موافقة العراقيين على جميع إتفاقيات إنهاء الحرب ـ بعد هزيمتهم ـ إلا أنه مازال آلاف الأسرى الكويتيين الأبرياء يعانون في سجون النظام العراقي الغاشم . إننا نسأل الله أن يتغمد شهدائنا بواسع رحمته ، وأن يعود أسرانا إلى أهلهم سالمين .

وأما على المستوى الحضاري العام ، فقد تم تدمير البنى الأساسية لكافة مؤسسات الدولة ، من سياسية واجتماعية ودينية وعلمية وثقافية ، فقد نهبت وزارات الدولة ودمر ما تبقى من محتوياتها ، وتحولت المدارس ومراكز العلم إلى معسكرات لإيواء أعوان الطاغية ، وسجون اعتقال وتعذيب أولئك الذين كانوا طلبة يدرسون على مقاعدها . كما تم تدمير أسس الاقتصاد الوطني ابتداء من سرقة ونقل محتويات المحلات التجارية

العامة والجمعيات التعاونية إلى جريمة حرق آبار النفط والتي مازالت تحترق كشاهد عملاق على تلك الجريمة البشعة . . ولم تسلم مراكز الثقافة والمتاحف والمكتبات العامة والمتخصصة من النهب والدمار ، فسرقت محتوياتها ودمرت وشوهت المباني بطريقة همجية .

ومع كل ذلك وبمجرد تحرير الكويت وعودة الشرعية إليها فإن جميع فئات المجتمع الكويتي الفتي قد باشروا إعادة البناء وإصلاح ما خربه العدو الغازي في كويتنا الحبيبة . . ولذلك فقد كان الاهتمام بالثقافة الانسانية وعودتها السريعة ، من أولويات سياسة بناء الكويت الجديدة ، ومن هذا المنظور رأت وزارة الاعلام أهمية عودة اصداراتها الثقافية بأسرع وقت ، خاصة مع حلول ذكرى مرور عام على الغزو الغاشم ، ولذا فإن عودة سلسلة « من المسرح العالمي » تعود للظهور من جديد مع هذه الذكرى المؤلمة ، لتؤكد أن العمل هو الرد الوحيد على جميع محاولات المساس بالكويت وشعبها .

إن هذا العدد (٢٥١) يمثل دعوة وتحية لجميع العاملين الشرفاء في العالم من أجل العدل والمساواة والسلام .

مقدمة بقلم المترجم

*** « هناك مشاكل أبدية تهم الناس دائما . ولفهم هذه المشاكل ، ليس من الخطأ تذكّر ما حدث البارحة ، ومنذ فترة غير بعيدة ، وما حدث في الماضي السحيق » .**

غريغوري غورين . انسواهيروسترات

انّ غريغوري غورين في « البيت الذى شيده سويفت » يقاوم اغراء مسرحة سيرة حياة الهجّاء العظيم جوناثان سويفت ، على الرغم من أن سجل حياته حافل بالكثير من الاحداث الدرامية . انما يقدم لنا غورين بعض الاشارات والالماعات الى ما حدث فى حياة سويفت ، ويحيلنا الى مراجع واقعية مثل أبيات شعرية مشهورة من قصيدة « موت الدكتور سويفت » التى كتبها سويفت نفسه وأخذ منها غورين عنوان مسرحيته ، ومثل **مرض مينير** (*) الذي جعل من سويفت ذاك المريض العاجز البائس في آخر سني عمره . وما هذين سوى مثالين لا أكثر . بالتالي يمكن فى الحال تسكين أية مخاوف مضمرة لدى اختصاصيي الأدب الانجليزي أو دارسي سويفت . لكن على الرغم من هذا يبقى مهما تماما فهم حياة سويفت وعصره ومؤلفاته ، على الأقل من بينها كتابه الأهم والأروع « رحلات جاليفر » ، من أجل استيعاب مسرحية غورين هذه والتمتّع بتعامله العبقري مع حياة سويفت وشخصيات عصره ومؤلفاته . لهذا رأينا من الضروري بدء تقديمنا بتلخيص لحياة سويفت وأعماله ، وبعرض واف لكتابه « رحلات جاليفر » الذى يركز عليه غورين في مسرحيته تركيزا شديدا .

*** — جوناثان سويفت : حياته وأعماله :**

يعدّ جوناثان سويفت (١٦٦٧ — ١٧٤٥) أعظم كاتب ساخر أنجبته انكلترا فى تاريخ أدبها الطويل . وما زال الى اليوم ، وبعد مرور أكثر من قرنين على وفاته ، موضع اهتمام الدارسين والباحثين والقراء على حدّ سواء . وما زال صدى كتاباته يتردد فى بقاع الأرض الواسعة . فأينما وجدت الحروب والظلم والاستغلال والفساد والنفاق على المستوى السياسي العام والغرور والوضاعة والجحود والجشع والحماقة

علـى المستوى الفـردي ، تظل كتاباتـه محتفظة بحيويتها وعصريتها ، وطالما كـان الانسان يعيش تحت وطأة القوى المدمرة التي تنذر بفناء الجنس البشري فسيجد القارىء في أدب سويفت الافكار والمشاعر التي تجيش فى صدره ، والتي تتلخص بالاشمئزاز والغضب من السلوك الأحمـق اللا أخلاقي . فلا غرابـة اذا أن كتاب رحـلات جاليـفـر (١٧٢٦) ، وهـو أشهر مؤلفاته ، قـد أصبح كتابا عالميا ترجم الى جميـع لغـات العالم تقريبا ، كما ترجم الى ثمانيـة وعشرين لغـة من لغات الاتحـاد السوفيتي .

ولـد سويفت لأبوين انكليزيين في ايرلنده ، وامضى هناك الجزء الأكبر من حياته التي يمكن وصفها أنها هروب مستمر من ايرلنده وعودة مستمرة اليها ، وكأن هذا الهارب محكوم بقدر لايتغير . تلقى سويفت دراسته في كلية « ترنتي » في « دبلن » ولكنه اكتسب معرفته الواسعة من مكتبة « مور – بارك » في « صارى » حيث عاش بضع سنوات كسكرتير للسير « وليم تمبـل » السياسي المتقاعد ذى الأهتمامات الثقافية ، فكان لديه هناك الوقت للمطالعة ، وتجريب باعـه فى الكتابة . كانت محاولته الأولى في « القصيـدة البـذارية » التي تميزت بواقعيـة حـادة استكملها في اعماله التالية مثـل « وصف وابـل المطر » ، « وصف الصبـاح » ، « موت الدكتور سويفت » ، « غرفـة ملابس السيدة » ، « مختارات شعرية » . وكره سويفت عمله ككاتبـ غير مستقل ، فهرب عائدا الى ايرلنده لأول مرة (١٦٩٤) . وفي عام (١٦٩٥) أصبح من رجال الدين ، وفي تسعينات القرن السابـع عشر كان سويفت قد كتب مؤلفين هامين نشرهما عام (١٧٠٤) وهمـا :

– معركـة الكتـب « Battle of the Books » وهـو ملحمـة ساخرة منوعة عن الجـدل القائم وقتئذ حـول الأدبين المعاصر الحديث والكلاسيكي القـديم ، وهـو موضوع شغل بال الكثيرين في انكلترا وفرنسا فى القرن السابـع عشر .

حكاية برميـل « A Tale of Tub. » وهـو مؤلف وصفه سويفت أنـه تعريض بسوء استخدام الانسان للمعرفـة والدين الى درجـة قضت على قيمتها . ويشرح سويفت معنى العنوان فى مقدمة كتابه ، فيقول أنها عادة البحارة ، عندما يهاجم حوت السفينة ، القـاء برميل في البحر باتجاه الحـوت ليشغله عن السفينة ، وقصة سويفت كتبت لتلهي النقاد عن مهاجمـة نقاط الضعف في الكنيسـة ولتسخر مـن التطـور التاريخـي

للمذاهب المسيحية . وتظهر في هذا الكتاب نظرتـه الثاقبة ، ويطـور الموضوعيـة غير العاديـة التى اتسم بها الكثير من أعمالـه .

هذان المؤلفان اكسبا سويفت اعجاب رؤسائـه في الكنيسة الايرلندية أيام كانت الموهبة الادبية والفكرية جوازا للوصول الى اعلى المراكز في الدولـة . فكلفته الكنيسة بمهام خاصة في انكلترا عند حكومة الأحرار « Whigs » أولا ، ثم عند حكومة المحافظين (Tories) التي انضم اليها فيما بعد . وقـد أصبح ذا نفوذ كبير في لندن أثناء حكم المحافظين من عام (۱۷۱۰) حتى وفاة الملكـة « آن » عـام (١٧١٤) . لكنه عاد الى (دبلن) كأسقف لكاتدرائيـة « سانت با تريك » عند سقوط حكومة المحافظين وبذلك انتهت المرحلة الأولى من حياتـه السياسية .

كانـت السنـوات الأربـع من عـام (۱۷۱۰) - (١٧١٤) أهـم فـترة فى تجربته السياسية وقـد كتب باستفاضة عن وجهـة نظـره الشخصية بصـدد تلك الفـترة الحاسمة من تاريـخ انكلترا ، معبرا عن آماله ومخاوفه في « يوميـات لإستيـلا » « Journal to Stello » حيث يصور شخصا ليس الا هو نفسه ، وفتاة ليست سوى استيرجونسون التى أحبها وأبدى تجاهها عاطفة أصلية . بالمعنى الغالب للطاعة ، ان لم يكن بالمعنى التام . ومن المحتمل أن استير جونسون ابنة ولم تمبـل غير الشرعية ، ويظن بعض النقاد أنها أصبحت زوجته . وهي في كل الأجوال كانت صديقة لـه طيلة حياته . ومن أجلها كتب من لندن يومياته التى تكشف عن مقدار الاخلاص في قلب انسان كثيرا ما صنّف كمبغض لبني البشر . كانت لندن آنذاك فى حالة من الغليان السياسي بسقوط وزارة الأحرار التى يتزعمها « غدلفن » التي حلت محلها وزارة المحافظين بزعامة « هـارلي » و « ستجن » اثر الانتخابات العامة التي أسفرت عن حصول المحافظين على أغلبية ساحقة وسيطرتها الكاملة على مجلس العموم . كما كانت الدعوة الى السلام مع فرنسا ، المتحاربة مع انكلترا وحليفاتها منذ بداية حكم الملكـة « آن » عام (۱۷۰۲) ، على وشك النجاح . فى هذه الأثناء كان سويفت على اتصال دائم بعدد كبير من السياسيين الناقمين على الأوضاع السائدة . وسرعان ما طلب « هارلي » مقابلته ، ووعده بمساندة الكنيسة الايرلندية وهـي المهمة التى سبق وأخفق سويفت فى انجازها مـع حكومة الاحرار . وكان فشله أحد الأسباب

العديدة التى بددت أمـله فى الحزب الذى عمل معه ودافع عن سياسته فانصرف عن الأحرار ، وهاجم دوق مارلبورو الذى شنّ الحرب ضدّ فرنسا ، وأصبح من أعوان حكومة المحافظين الجديدة التى رحبت به لأهمية الدور الذى يستطيع أن يلعبه بقلمه . فعمل كرئيس تحرير لصحيفة (الممتحن) وأصبح كاتب الحزب الرئيسي ومستشاره الأدبي . وعندما تحركت الحكومـة لانهاء الحرب بتوقيع معاهدة « اترخت » ألف كتيبا بعنوان « سلوك الحلفاء » « The Conduct of the Allies » وهـو من أقـوى حجج العصر السياسية وأكثرها شعبية . ساند فيها سياسة الحكومة المحافظة فى سبيل معاهـدة السلم مـع فرنسا ، كما ألـف في هـذه الفترة مجموعـة من الكتب مثل : « رسالـة حول امتحان السّر الرباني » ، « الـغـاء المسيحية » ، « ملاحظات حـول معاهدة الحدود » ، « الروح العامـة عند الأحرار » . وكافأته حكومة « هـارلي » على خدماته بتعيينه اسقفا لكاتدرائية « سانت باتريك » وهو مركز اعتبره سويفت عن حق أقل بكثير ممـا يستحق بعد المجهود الذى بذلـه في تأييده الحكومـة .

وبموت الملكة « آن » وتوليّ « جورج الأول » (من أسرة هانوفر) عرش انكلترا اسقطت حكومة المحافظين وفقد سويفت بعودة الأحرار الأمـل في مركز رفيع في الدولـة . فعلى أثر قرار بلينـغ بروك الى فرنسا وسجن اكسفورد فى قلعة لندن (وهما وزيران من المحافظين وصديقان حميمان) أضطر سويفت الى الاقامـة في اسقفيته فى دبلن . وباستثناء زيارتين قصيرتين لأصدقائه فى انكلترا بقي حتى آخر أيامه في ايرلنده التي اعتبرها منفى سياسيا وفكريا ، وان لم يكف عن نشاطه فيها ، بل بدأت المرحلة الثانية لنفوذه السياسي في عشرينات القرن الثامن عشر ، عندما ناصر الشعب الايرلنـدي في مطالبـه ودافـع عن البرلمان الايرلندي ضدّ وزارة الأحرار تحت رئاسة « روبرت وولبـول » . وأصبـح معبود الشعب الايرلندى الذى أطلق عليه اسم (الوطن الايرلندى) و (الاسقف العظيم) . ويحكى أنـه عندما أراد « وولبـول » أن يلقي القبض على سويفت في ايرلندا نصحه أعوانـه بأنـه لن يستطيع ذلك الا اذا أرسل جيشا من عشرة آلاف جندي للقيام بتلك المهمـة ، لأن الايرلنديين سيقطعون « وولبـول » اربا في شوارع « دبلن » . ولقد جـاء كتاب سويفت الرائـع (رحلات جـاليفـر) ثمرة لهـذه المرحـلة الثانية من حياتـه السياسيـة وهـذا ما سيأتي ذكـره في حينـه .

اذا ، عام (١٧١٤) انهار عالم سويفت من حوله وانسحب من الحياة العامـة شاعـرا بالهزيمـة والفشل والاحبـاط . وبعد فترة من الاكتئاب الغامر والاحساس بأنـه (سوف يموت في منفاه مثل الفأر المسموم في جحره) ، لم يلبث أن استعاد حيويته وثقتـه بالنفس وأصبـح كما سبق أن كـان (الاسقف الفطن) و (الرفيـق المتحضّر) في مجتمع ايرلنده المتأخر غير أنـه مرت سنوات قبل أن يستعيد الطاقـة الفائضة اللازمـة للعمل الابداعي ، وانتقل بعد الى مرحلة من الانتاج الادبي تختلف عمّا سبق من حيث عمق التفكير وروعـة الأداء ، ولمع في السنين ما بين عامي ١٧٢٠ - ١٧٢٩ لا ككاتب ذي اهتمامات واسعة ومهارة في الشعر والجدل المنثور والفكـر الساخر فحسب ، وانمـا كفنان أديب ينتمي الى عالم أرحب ، وأخـذ ينمّي صداقات جديدة في ايرلندا ، كما أخـذ يراسل أصدقاءه القدامى في انكلترا ، وبـدأ نجمـه يتألـق مـرة أخرى ، وظهـر في أوج عظمته كمؤلف « لرسائل درابيـر » (١٧٢٤) التي يكشف فيها عن بغضه الشديد وضغينته تجاه الخـداع السياسي وتعاطفه ومناصرتـه للشعب الايرلندي . ورحلات جاليـفـر (١٧٢٦) و (اقتراح متواضـع) (١٧٢٩) ، هذا الكتاب الساخر بقسوة والمائج بالغضب ، غضب الانسان الذي نظر حولـه وتأمـل فلم يعجبـه ما رأت عيناه ، فصب جـام غضبه على ذوي الاملاك الغائبين عن أرضهم تاركين مسؤولياتهم تجاه الأرض ومستأجريها ... الاثرياء العاملين الذين ينفقون أموالا طائلة في شراء البضائع الأجنبية لامبالين بنتائج ذلك على وطنهم ، الكاثوليكيين والبروتستانت بسبب صراعاتهم ، وعلى الفقراء ذاتهم لاستكانتهم لوضعهم المهين ، فكل هؤلاء قد تسببوا بطريقة أو بأخرى في أن تصل البلاد الى ما آلت اليه من فقر وضعة وبؤس . ومن ثم يتقدم بطل كتابه باقتراحه فيعرض فكرة ذبح الأطفال الرضع من أبناء الفقراء عند اتمامهم العام الأول لكي يقدموا كطعام فاخر للأغنياء ، ويجادل صاحب الاقتراح مبينا أن تلك هي أفضل وسيلة يتجنب بها هؤلاء الأطفال آلام الحياة ... الخ . كل ذلك بأسلوب ساخـر عميـق وعنيـف في الوقت ذاتـه . اذن هذا الكتاب مـع « رحـلات جاليـفـر » و « توصيات للخدم » و « كادينوس وفانيسا » وغيرهـا ، تنتمي كلها الى هذه الفترة الثانية من حياة سويفت ونشاطـه .

ولقد برز سويفت كشخصية مرحة مميزة في المجتمـع الايرلندي حتى وصل اعجاب الشعب وحبهم لـه الى حد العبادة . ولم يكن سويفت مجرد كاتب سياسي يتأمل بسخرية أخطاء الانسان ونقاط ضعفه وانما أيضا مفكرا مثقفا جالس عظماء

وكتاب عصره ، وانسانا رقيقا حنونا في الوقت ذاتــه . واذا كان قد اعتبر غالبا كمبغض للبشر مريض ، الا أن ذلك مجاف للصواب . ربما كان متكبّرا ، بل وحتى متعجرفا ، لكن هذا ناجم عن ادراكــه المخيف لعدم اتفاق الانسان مع خصائصه وممارسته سلوكا متخالفا معها . وسويفت ببصيرتـه النفاذه لم يقبل أن يكتم ويخفي شيئا من اتهاماته للانسان برفض العقل والخير كطريق في الحياة . واذا كان متعجرفا كشخص ، فانـه كان متواضعا في فلسفته . ومن أهم خصائص هذا التواضع وضوح نــثره ، ذلك الوضوح المصطبغ بنشاط عقلي شديد ، بل بنشاط العقل الأشد نشاطا في ذلك القرن . واذا كان الناس قد مالوا الى الاعتقاد بأن سويفت كان قد فقد قواه العقليـــة وأصيب بلوثة جنون فان ذلك كان بسبب ما اعتبروه تشاؤما قاتما في نظرتـه الى الانسان وخاصة في كتابـه الرابـع من « رحـلات جاليـفـر » أي رحلة جاليفـر الى بــلاد « الهوينـوهمــز » .

*) – رحـــلات جاليـفـــــر :

ان رحلات جاليفر عمل مأساوي أو على وجـه التحديد أنـه أقرب الى المأساويـة من أيّ عمل أدبي آخر ظهر في القرن الثامن عشر . وتكمن المأساة بنظر سويفت فى اللاعقلانية التى تسود حياة الانسان في جميع تصرفاته وسلوكـه . فقد بنى سويفت ، وهو ابن العصر (الاغسطي) أو عصر (العقل) ، كما عرف بـه ذلك القرن ، بنى عقيدتــه على العقل وقيمتـه الأساسية في السلوك البشرى ، وثار عندما افتقده في صميم الانسان . ورحلات جاليفـر تعبر عن غضب الكاتب من حماقات ورذائــل الانسان ، وعن شعوره الغامر بالقصور المأساوى لـدى الانسان .

ومــع ذلك فالكتاب روعـة من روائـع « أدب الهروب » ، ومن الخطأ اعتباره نتــاج يأس قاتم . ورغم أن الغضب والأحتقار والاشمئزاز أساس جميــع كتابات سويفت الساخرة ، الا انه كتبها تحت تأثير اعتقاده الراسخ بأن رؤيـة الذات ومعرفتها على حقيقتها ستؤدي فى نهاية الأمر الى السلوك السليم وكان هدفــه من كتابة رحلات جاليفر ، كما قال هو (اصلاح العالم) مما يوحـي بالأمل لابالتشاؤم . ويؤكـد هذا أيضا روح الفكاهة المرحة المتوغلة في الرحلات ، والتي تنفي ما أصرّ عدد من النقاد من أنـه نتاج عقل مريض على شفا الجنون ، في هذه الروح دليل قاطع على صحـة سويفت العقلية والروحية عندما كتب الرحلات . أما مرضه فلم يصب بـه الا بعد ظهور الكتاب بسبعة عشر عاما . والهزل والمرح والفكاهـــة في رحلات جاليفر ، كلها

تخدم السخرية ، هدف سويفت الاساسي . فالسخرية أشدّ شراسة من الهزل في هدفها الأخلاقي لانها تقيس السلوك الانساني بمقارنته مع النموذج المثالي وليس العادي . وترفع أمام ناظر القارىء مرآة تعكس فيها صورة مشوهة مبالغ فيها لحياته ، لايلبث ، ان كان على قدر من الوعي ، أن يكتشف فيها صورته هو . ويكون وقع الصدمة بمقدار الهوة التي تفصل بين المقاييس الاخلاقية التقليدية وبين السلوك الواقعي .

وسويفت الذى « لم يستطع أن يغفر للانسان أبدا كونه حيوانا ثدييا فقاريا وروحا خالدة معا » على حدّ تعبير « الدوس هكسلي » ، رفض تعريف الانسان بأنه حيوان « عاقل » وعرّفه بأنه « حيوان ذو قدرة على العقل » ، وكان قد كتب في خطاب الى صديقيه « بوب » و « بولينغ بروك » يقول فيه « أقول مع ذلك انني لاأكره الجنس البشرى ، بل أنكم أنتم الآخرون الذين تكرهونه ، لأنكم تريدون الانسان حيوانا عاقلا ، وتغضبون لخيبة أملكم فيه . أما أنا فلم أقبل ذلك التعريف أبدا ، وفكرت في تعريف آخر خاص بيّ » .. فهو يتألم لأن الانسان لايستغل قدراته العقلية أحسن استغلال ، بل أنه يتصرف وكأنه أقلّ بكثير في مستواه العقلّي والخلقّي مما أراده الله ، ورأى أن يكتشف حقيقة الانسان وطبيعته من خلال تجاربه الخاصة ومعرفته بسلوك معاصريه ، فجاءت الصورة التي رسمها تحفة خالدة .

تنتمي رحلات جاليفر الى عصر « العقل » هذا العصر الذى كان من أكثر العصور ملاءمة للأدب الساخر . حيث ساعد الإيمان السائد آنذاك بالطبيعة والعقل على انتشاره ، لدرجة أنّ النصف الأول من القرن الثامن عشر أصبح العصر الذهبي لذلك النوع من الأدب . كما تنتمي هذه الرحلات الى نوع خاص من أدب الرحلات المتصل بالتراث الأدبي الفكري الأوربي ، والذي دفع بعض الكتّاب والمفكرين الى خلق رؤى لمجتمعات غريبة ، اما اسطورية واما مثالية ، بهدف دراسة الفكر السياسي المعاصر ، فهذا ما فعله « افلاطون » و « روجر بيكون » و « توماس مور » و « سيرانودى برجراك » ..... الخ .

ورحلات جاليفر سلسلة من « الجمهوريات المثالية » ومجموعة من « الرحلات الفلسفية » تتسم تارة بالواقعية وتارة بالخيال المبالغ فيه . والكتاب أيضا رحلة استكشاف ساخرة في خفايا الطبيعة البشرية ، يكشف عن دخائلها من خلال

ملاحظات الرحالة جاليفر ، وعن ظواهرها من خلال النظم السياسية والاجتماعية للبلاد التي يسافر اليها وسلوك سكانها . فأسفار جاليفر رحلة أو تجربة ذهنية تنتقل بالقارىء من حالة الرضى التام المبني على الجهل الى حالة الرفض التام الذى يتبع اكتشاف الحقيقة المؤلمة اللاذعة المختفية وراء الخداع والوهم اللذين كان يعيش فيهما .

وجاليفر الرحالة الذى اختاره سويفت ليسرد تفاصيل مغامراته شخصية مستقلة ، يجب أن لانخلط بينها وبين المؤلف كما حدث مع كثير من النقاد . وجاليفر نموذج للرجل الانجليزى العادي متوسط الحال ماديا ، غير المتميز عقليا ، واسع الحيلة وشجاع ، وصاحب فضائل جمّة ، لكنه يقع في كثير من الأحيان فريسة لخداع النفس وأنصاف الحقائق . انه أقرب الى ذهن القارىء اختاره سويفت كأداة لتأمل المجتمع البشري الأوربي ، وخاصة الانكليزى في القرن الثامن عشر الذي تنتمي اليه الشخصية . وقد حرص سويفت على تقديمه بدرجة من الواقعية تمكن القارىء من المطابقة بينه وبين نفسه ، الا أنها مطابقة محدودة وليست كاملة . وما يتحكم في درجتها هو اداة السخرية التي تدفع بالقارىء الى الفصل بين جاليفر وبينه . وعند ذلك يجد القارىء نفسه ناقدا لجاليفر وناقدا لذاته في ذات الوقت لمطابقته السابقة معه في بعض نواحي تفكيره وسلوكه . ويبقى أن نقول ان جاليفر بين الاقزام هو غير جاليفر في بلاد المردة ، فهو أداة يستخدمها الكاتب ليشوّه بها رؤيتنا لأنفسنا وللواقع ، مثل المرآة المعوجّة التي تعكس الاشياء على نحو ملتو . ووسيلة للانتقال بالقارىء بين المواقع الاستكشافية التي يستطيع منها أن يشرف على دخائل الطبيعة البشرية .

يزور جاليفر في رحلاته أربع بلدان مختلفة هي على التوالي : –

١ – (ليليبت) : بلد الأقزام .

٢ – (بروبد نجاج) : بلد المردة.

٣ – (لابوتا) وجاراتها بلبنار بي ، جلبدبريب ، ولجناج بلاد العلوم والسياسة المجردتين .

٤ – بلد الهوينهومز التي يحكمها الحصان العاقل ويقطنها الياهو الانسان الحيوان .

وكل زيارة لبلد من هذه البلدان تواجه جاليفر بمواقف لم يسبق له أن مرّ بها .

(١) الرحــلة الى ليليبــت : A. Voyage to Lilliput

يتخذ سويفت أساسا لسخريته في رحلته الأولى ، كما في الثانية ، المقارنة بين الحجمين الكبير جدا والصغير جدا . حيث يكتشف جاليفر عــدم تناسبه وسط الظروف المحيطة بـه . ويجد سويفت في فكرة « سلسلة الوجود الهائلة » الهاما لرؤيته في هاتين الرحلتين ، اضافة الى الرحلة الرابعــة ، حيث كانت الفكرة القائلة بأن الانسان يحتل مكانا وسطا في سلسلة الوجود من الأفكار المألوفــة أيام سويفت . وكان الكثير من الناس يعتقدون أن الوجود قد نظم باتقان ودقــة على شكل درجات في « سلسلة وجود هائلة » ابتداء من الخالق الذي يتبعه عدد لايحصى من الكائنات الروحية والذهنية المجـردة ، الى الانسان والكائنات الحيوانية والاشكال الميكروسكوبية من الحياة ، حتى تنتهي الى لاشيء . ويشغل الانسان في هذه « السلسلة » وضعا لايعـرف فيـه الراحــة ، لأنـه يشارك لدرجـة محـدودة الكائنات الذهـنيـة السامية ، في عقلها ، بينما يشارك الى درجــة غير محدودة الحيوان في غرائزه الحسية . فالانسان « حلقة الوصل » و « نقطـة الالتقـاء » بين العقــل والحس .

ولقد استخدم سويفت صورة الانسان هذه في موقعه الوسط من « سلسلة الوجود الهائلة » كوسيلة للفكاهة والتهكم والسخرية . ويضطرنا متلهفين الى تتبع أهل ليليبت وهم يحلون المشاكل التي يواجهونها عند اكتشافهم وجود « الرجل الجبل » (جاليفر) فى بلدهم والذى يجب أن ينقلوه الى وسط المدينة ويحضروا له الطعام ويصنعوا له سريرا . كمـا نجد تسلية فى وصف حيرة هذه الكائنات الصغيرة التى لا يزيد طولها عن / ٦ / بوصات وهم يتفحصون الأشياء التي يعثرون عليها فى جيوب جاليفر – المشط وقطع النقود والمنديل والنشوق – دون أن يفهموا ماهيتها ومن بينها ساعته التي تبدولهم كآلة هائلة « ... ، ينبعث منها صوت لا ينقطع مثل صوت طاحونة المياه » فاستنتجوا أنها « اما حيوان غير معروف أو الاله الذى يعبده » لكنهم يميلون الى الرأى الأخير حيث أكد لهم جاليفر « أنّه قلمـا يفعل شيئا دون أن يستشيرها وقد سمّاها الوصي ، وقال أنها تشير الى الوقت المحدد لكل فعل فى حياته » . كمـا يتمتع القارىء بطريقة استيلاء جاليفر على أسطول « بليغسكو » البلد المعادية لـ « ليليبت » ، وسحبه السفن ورائه فى البحر ممسكا بيد واحدة بالخيوط التي ربطها بها ، فبدت قطع الاسطول التي تهـدد كيان الأقزام كلعب الأطفال . وهناك مشـهد العرض العسكرى المقام على سطح منديل جاليفر المنصوب على أعمـدة وكأنه ساحة رهيبة . كما يستغل سويفت

التناقض فى الموقف بين المارد والأقزام لاثارة الضحك . مثلما يفعل عندما يشير الى الشكّ الذى يساور القزم « فليمناب » بوجود علاقة غرامية بين زوجته وجاليفر المارد .

لكن صغر حجم أهل « ليليبت » يؤكد نوعا آخر من الضآلة هي الضآلة الاخلاقية التي تبدو فى غرور امبراطور « ليليبت » « الجبار . بهجة الكون ورعبه ، الذى تمتد ممتلكاته خمسة آلاف » بلاس روج « — أى بقطر طوله حوالي اثني عشر ميلا — حتى أطراف الكرة الأرضية . ملك الملوك . يا من هو أطول من ابناء البشر ، ومن تصل قدماه الى مركز الأرض . ويعلو رأسه فيصطدم بالشمس . يامن ترتعد لمجرد ايماءة من رأسه أمراء الكون . لطيف كالربيع ، مريح كالصيف ، مثمر كالخريف ، ومرعب كالشتاء . » ومع ذلك لا يغيب عنّا عبث ذلك الكائن اللعبة منذ أول مرة يراه جاليفر وقد وقف مختالا بسيفه فى يده — وخوذته الذهبية على رأسه وكلاهما مرصّع بالجواهر الثمينة . ومع ذلك يضطر جاليفر لكي يراه عن قرب الى الاستلقاء على جنبه حتى يصبح وجهه موازيا لوجهه . ويضعه فى قبضته عدة مرات منذ تلك المقابلة .

وتبدو سخرية سويفت أكثر وضوحا عندما تظهر المقارنة بين « ليليبت » ومجتمع انكلترا المعاصر ، ومن أشهر مشاهد المقارنة الساخرة ، مشهد الألعاب البهلوانية التي يؤديها المتقدمون للوظائف المرموقة فى الدولة ، وهم يتنافسون عليها بالرقص على حبل مشدود محاولين الاحتفاظ بها « فالفائز الأول الذى لا يهوي على الأرض يرقى الى الوظيفة . وكثيرا ما يصدر الأمر للوزراء الأوائل أنفسهم باستعراض مهاراتهم لاقناع الأمبراطور بأنهم ما زالوا محتفظين بها » .

ثم ينتقل سويفت الى لعبة أخرى لا تؤدى الا فى مناسبات خاصة ، ولا يسمح لأحد سوى الامبراطور والامبراطورة ورئيس الوزراء أن يستمتعوا بها . والحركات فيها أكثر تنوعا ، ومن بين حركة « الزحف تحت العصا » التي توحي بالرياء والنفاق والخنوع الذى يتطلبه الحاكم لابداء رضاه نحو أصحاب المهارات . والتي يخلع عليهم عند تأديتها أحزمة خاصة ليست سوى خيوط » واحد أزرق ، والآخر أحمر ، والثالث أخضر » على التوالي « وقلما تصادف شخصا عظيما فى هذا القصر الا وقد تحلّى بهذه الأحزمة » . وعندما يتبين القارىء أن هذه الأحزمة تمثل أعلى الأوسمة التي يمنحها ملك انكلترا للذين يتمتعون بحظوته ، يبدأ القارىء بالتساؤل عن أوجه الشبه الأخرى بين ليليبت والمجتمع الانكليزى ، وعن مدى تطابق شخصيات العصر فى

ليلبيت مع الملكة آن والملك جورج الأول وابنه أمير ويلز الذى أصبح فيما بعد جورج الثاني وشخصية فليمناب التي تمثل روبرت وولول رئيس الوزراء أو الوزير الأول كما سمي فى ذلك الوقت والذى استمرت رئاسته لوزارة الأحرار سنين طويلة ، والذى صوره سويفت كاكثر الرجال حذقا فى الرقص على الحبل لطول بقائه فى الحكم. ويتبين القارىء أيضا أن دولة بليفسكو فى حربها مع « ليلبيت » تمثل فرنسا فى حربها مع انكلترا . وفى اشارة سويفت الى الخدمات التي أداها جاليفر لامبراطور ليلبيت فى حربه مع بليفسكو تذكره بالخدمات التي أداها سويفت نفسه للقصر والوزارة دون أن يلقى من أيهما اعترافا بالجميل ، مما يفسر قول جاليفر فى نهاية الرحلة الأولى عندما يتآمر البلاط والوزراء ضده : « ولذلك قررت ألا أضع ثقتي بعد اليوم فى أمير أو وزير» .

ولكن هذه الرحلة أعمق بكثير من أن تكون هجوما عنيفا مبنيا على تجربة شخصية محضة ، أو محاولة للأخذ بالثأر ممن خذلوا طموح سويفت. فالكتاب كله ، وبالذات الرحلتان الأولى والثانية هجوم ساخر على الانسان بوصفه حيوانا سياسيا واجتماعيا. وهذه الرحلة تكشف عن التفاهة والافتقار الى المبادىء عند هذا الانسان. وتمتد الى أبعد من الشخصيات التاريخية والطقوس السياسية من «قفز» و«زحف» الى القضايا السياسية والدينية التي شغلت بال العصر فيجسدها سويفت فى صورة حية عندما يرمز الى حزبيّ المحافظين والأحرار اللذين كانا فى صراع محتدم بأسمي «الترامكسانز» (Tramecksans.) و «السلامكسانز» (Slamecksans.) أو بحزبي «الكعوب العالية» (High Heels.) والكعوب المنخفضة (LOW Heels.). فقد دفع حزب الأحرار انكلترا الى سلسلة من الحروب التجارية الدامية والمكلفة ، اما حزب المحافظين فقد نجح خلال فترة حكمه القصيرة فى توقيع اتفاقية سلام غيّرت من معالم أوربا ومهدّت طريق الاستقرار فى انكلترا . لكن الأوضاع كانت أكثر تعقيدا من ذلك ، فمؤيدو المحافظين كانوا من ملاك الأرض والمحافظين فى الدين والاقتصاد والزراعة والقيم العامة بينما كان حزب الأحرار من المساندين للطبقة التي بني عليها ثراء المجتمع الانكليزى - أى طبقة التجار البرجوازيين المنشقين عن الكنيسة الانكليزية والتقدميين فى فلسفتهم الاقتصادية والزراعية والتجارية وآرائهم الأخلاقية وقيمهم . وكان الأحرار من أنصار أسرة هانوفر الملكية ، بينما كان المحافظون من أنصار الملك جيمس الثاني المخلوع الذى فرّ الى فرنسا ، أى أنهم كانوا من مساندى القوى التي تهدد الأمة بحرب أهلية . ورغم خطورة هذه القضايا التي كان يتوقف عليها

مستقبل انكلترا ونظام الحكم فيها ، فقد تعمدّ سويفت أن يظهرها بمظهر تافه عابث . فيقول عن ميل الملك جورج الأول الى حزب الأحرار وعن تردد ولي العهد فى اتجاهاته السياسية : « ان الكعب الامبراطورى اكثر إنخفاضا عن كعوب أىّ من أعضاء حاشيته بمقدار » درّ (وحدة قياسية فى ليليبت أخترعها سويفت) على الأقل... ونلاحظ أن وليّ العهد يميل الى حدّ ما الى أصحاب الكعوب العالية ، ومن الواضح أن واحدا من كعبيه يبدو أكثر ارتفاعا من الآخر ، مما يجعله يعرج فى مشيته » . أما القضية التي أثارت جدلا طويلا جول المسيحية والانشقاق الديني فى انكلترا ، والتي كانت من القضايا الهامة فى عصر سويفت فقد صوّرها فى نفس الاسلوب الساخر مقللا فى الظاهر من خطورتها . فحوّل الصراع الديني المرير بين الكاثوليك والبروتستانت والعداوة بينهما الى مشكلة « كسر البيضة » كما سمّاها ، وتتلخص المشكله فى « هل من الأفضل كسر البيضة من القمة العريضة أم من القاع الضيقّ» وسمّى الكاثوليك « أتباع القمة العريضة » (Big Endians) والبروتستانت « أتباع القاع الضيق » (Little Endians) . وبهذا تبدو القضية التي قاست منها انكلترا سنين طويلة والتي أدت الى اضطهاد ديني وثورة قلبت نظام الحكم من ملكي الى جمهورى ، تبدو فى رحلة ليليبت سخيفة تافهة نتيجة للصورة التي تظهر عليها. وتنحصر سخرية سويفت فى السبب العابث الذى قدمه كتفسير للاضطهاد الديني الذى ادى الى موت آلاف المواطنين الكاثوليك ، وهو رفض « اتباع القمة العريضة » الاذعان لكسر بيضتهم من « القاع الضيق » .

ويقع سويفت فى تناقض فى الفصل السادس من هذه الرحلة حيث يتغلب المفكر على الفنان ، اذ نرى جاليفر عائدا من رحلته بشخصية مثالية تقدمية راجعة من بلد مثالية وحاملة معها أخبار هذا البلد الذى فاق بلاده فى النظم السياسية والتعليم والأخلاق فبدل من أن تسنّ ليليبت « القوانين لحماية الملكية الفردية وتشيع فى الأفراد الخوف من القانون وتجبرهم على الاذعان له ، فانها تشجع الناس على الفضيلة ونظمها ، تكرم آولئك الذين يحترمون القانون وتعاقب الخارجين عنه . وتهدف الانظمة والقوانين فى الدولة الى اقناع المواطن بأن السلوك الفاضل فى متناول الجميع وفيه مصلحة للجميع ، وهم يعتقدون أنّ « كل انسان يستطيع التحليّ بالصدق والعدل والاعتدال وما اليها من صفات » . وبناء على ذلك فان حكم البلاد ليس أمرا عسيرا ولا يتطلب مهارة فائقة » .

اذن تتحول ليلبيت الى شكل جديد من أشكال أدب الرحلات « اليوتوبية » فتناول النواحي التي تبعث على الاعجاب بالأنظمة والقوانين والتربية والتقاليد فى ليلبيت ، والتي تفتقر اليها انكلترا . ويلاحظ أن النقد السياسي والاجتماعي والتعليمي الموجّه الى انكلترا هو أساسا نقد أخلاقي .

وعندما حاول سويفت أن يعطي تفسيرا لهذا التناقض ، جاء التفسير واهنا وهو أن الأنظمة المثالية والسلوك الشريف والخلق الطيب ، التي وصفها جاليفر ، ما هي الا أثر باهت من آثار الماضي التي اندثرت بمرور الزمن عندما تعرّض أهالي ليلبيت لقوى الفساد .

وتنتهي الرحلة مرة ثانية بصورة غير مشرّفة لأهالي ليلبيت ، بفسادهم ونفاقهم وخداعهم وقسوتهم وشرّهم ، بينما يبدو جاليفر ليس أكبر حجما وحسب ، وانما أعظم خلقا وسلوكا من أهلها الذين لا يتناسب صغر حجمهم مع مدى خطورتهم واتساع شرورهم . فعند رفض جاليفر القضاء على بليفسكو قضاء مبرما بعد أن ساعد أهل ليلبيت ضدّهم ، يتهم بالخيانة ويحكم عليه بالموت ثم يخفف الحكم الى فقء عينيه وتركه يموت جوعا ، فيقرر جاليفر عندئذ الهرب لان بقاءه فيه خطورة على حياته وقد يعرضه دفاعه عن نفسه الى تدمير ليلبيت وهو لا يرضى لنفسه ذلك الفعل القاسي. فيجمع حاجياته ويهرب أولا الى بليفسكو ومن ثم يبحر على مركب الى انكلترا ، وقد ملأ جيوبه بنماذج من سكان ليلبيت الصغار الذين يسببون اثارة واهتماما كبيرين فى انكلترا ، ويؤكدون حقيقة ما يرويه جاليفر عن رحلته .

(٢) – الرحلة الى بروبدنجاج : A Voyage To Brobdingang

فى بروبدنجاج جاليفر هو القزم ، ومكانه فى أسفل السلسلة « ناظرا الى أعلى » كما ينظر القزم الى المارد . بينما كان فى الرحلة الأولى فى اعلى السلسلة « ناظرا الى أسفل » كما ينظر المارد الى القزم . وتفوق أهل بروبدنجاج ليس تفوقا فى الحجم وحسب ، وانما فى نهاية الرحلة يبدو التفوق أخلاقيا أيضا ، وهذا هو التفوق الحقيقى .

يجعل سويفت حقل القمح مكان أول لقاء بين جاليفر والمردة ، بين سنابل القمح التي تشبه الغابة فى كثافتها ، ليؤكد الشبه بين جاليفر القزم والحيوان الصغير ، الذى يحاول أن يفرّ هاربا عندما يشعر بمنجل الفلاحين فى موسم الحصاد . وعندما تراه امرأة الفلاح تعتقد أنه فأر أو عنكبوت فتصرخ وتتراجع .

وتطغي روح الفكاهة على الجزء الأول من الرحلة فتكثر المواقف الفكاهية المبنية على فكرة النسبية فى الحجم (فى أحد المشاهد يكاد الطفل المارد أن يبتلع رأس جاليفر . فى مشهد آخر يلقي مهرج البلاط القزم بـ جاليفر فى صحن من القشدة حيث يكاد يغرق لولا أنه يجيد السباحة . كما أنه يقع فى أسر قردة تصرّ على اطعامه معتقدة أنه أحد أبنائها ..... الخ) ولا نجد بين هذه المواقف الفكاهية أثرا للسخرية .

لكن هذه الرحلة لا تستمر طويلا على مستوى الفكاهة والمرح . ولا تلبث سخرية سويفت أن تطفو على السطح من جديد فيستخدم المردة الطيبين بتوجيه ضربة قوية الى غزور الانسان . عندما يقدم لأول مرة فى الرحلات الشعور بالاشمئزاز من الجسم الأدمي . هذا الشعور الذى عرف به سويفت والذى يتضاعف الى درجة تجعله يسود الرحلة الرابعة فى بلاد الهوينوهمز . ولعلّ فى هذا الاشمئزاز ردا على فلاسفة القرن الثامن عشر الذى اعجبوا بجسم الانسان لكماله وابداعه اللذين يتناسبان مع وضعه فى نظام الكون . فالجمال والقبح مسألة نسبية . ويحسم سويفت الأمر بنفوره من الجسد البشرى . هذا النفور الذى هو حرب خاضها سويفت طوال حياته ضدّ الجسد . ويعدّ واحدا من خصائص كتابته . وأيا كان التفسير الشخصي لهذه النظرة النافرة ، فالمهم أنه استخدمها استخداما فنيّا ناجحا ليكشف بها عن نواحي الانسان الحيوانية ، المادية منها والمعنوية .

ولا بدّ من القول هنا أن سويفت لا يتطرق الى الرمزية . فيما يتعلق بالنفور من الجسد فى رحلة بروبدنجاج ، فاشمئزاز جاليفر ناجم فى الواقع عن قصور فى زاوية رؤيته لصغر حجمه . فهو لا يستطيع أن يرى الا التفاصيل المكبرة البشعة من جسم المارد ، بحيث يرى الجزء وليس الكل ، فيفوته بذلك التناسق بالشكل الكليّ وتبدو التفاصيل مشوهّة .

وكذلك يفشل جاليفر فى تطبيق النظرة الشاملة على أخلاقيات أهل بروبدنجاج . فيفوته أيضا مستواهم الأخلاقي الرفيع . وهنا تتكشف سخرية سويفت اللاذعة فى هذه الرحلة ، حيث يبدو جاليفر ضئيل الجسم وضعيف الخلق عندما يتباهى بانجازات بلاده السياسية والتعليمية ونظامها الحزبيّ الرائع التي يعتبرها ملك بروبدنجاج عن حقّ فاشلة تماما . ويلخص سويفت فى مشهد ساخر وجهة نظر الملك ، حين يمسك بجاليفر بين الابهام والسبابة ويربت عليه برقّة مستفسرا بتهكم عن ميوله السياسية فيسأله « وهل أنت من حزب الأحرار ، أم من حزب المحافظين » وكأنه يلقي سؤاله على

حشرة صغيرة . ولا يبني سويفت نقده لمجتمع جاليفر على المبالغة فى مثاليته مجتمع بروبدنجاج ، فالمردة لا يختلفون عن البشر الا فى حجمهم ، وهم مزيج من الخير والشرّ ، من الحكمة والحماقة ، ويتصفون بالطيبة لكنهم قساة أحيانا . فيصور سويفت كيف يطوف الفلاح المارد بـ جاليفر فى انحاء البلاد جريا وراء المكاسب من خلال عرضه على الاهالى مقابل مبلغ من المال كما يفعلون فى السيرك ، دون مراعاة للارهاق الذى يسببه لـ جاليفر ذى البنية الضعيفة .

ويمتاز أهل بروبدنجاج ، كصفات عامة ورئيسية ، بالبساطة والتواضع والأمانة وحسن المعاملة . وأهم من هذا أنهم يحبون السلام ويكرهون الحرب ، ولا يسعون الى المجد الزائف ، وانما يبتغون الحياة الهادئة غير المعقدة . ويمثل ملكهم الصفات التي يعجب بها سويفت « التفهم الممتاز والعقل والحصافة » ، ويتخذه سويفت حكما للمجتمع الانكليزى والأوربي الذى يفخر به جاليفر ومقياسا للزيف الأخلاقي الذى يدافع عنه دون وعي .

ومن خلال وجهة نظر هذا الملك العاقل يبدو جاليفر قزما فى قصوره الخلقي كما هو فى ضآلته الجسدية . وعندما يسأل الملك جاليفر تقديم تقرير عن نظام الحكم والسياسة والتعليم والتربية والسلوك فى بلاده ، يقدم له جاليفر ذلك باعتداد وحماس عاليين ، لتبدأ بعدئذ أسئلة الملك الواضحة التي تحوى اشارة الى الجواب ، الى أن يأتي النقد اللاذع والضربة القاضية فى نهاية المشهد عندما ينطق الملك بحكمه بعد أن يكون القارئ قد انتقل بتعاطفه الى وجهة نظر الملك السليمة الصائبة : « لقد ذهل الملك تماما للتقرير التاريخي الذى أعطيته عن أحوالنا خلال القرن الماضي . واعترض عليه قائلا انها ليست الا سلسلة من المؤامرات والتمرد وجرائم القتل والمذابح والثورات والنفيّ . وكلها من أسوأ آثار الجشع والحزبية والانشقاق والنفاق والغدر والقسوة والحنق والكراهية والحسد والشهوة والنكاية والطموح » .

ولا يسع الملك الا أن يستنتج مما قاله جاليفر أن أهل بلاده فى مجموعهم « جنس دنيء مقيت من الحشرات ، بل أنهم أبغض ما سمحت الطبيعة فى أى زمن من الأزمنة أن يزحف على وجه الأرض » .

ولا تنتهي سخرية سويفت عند هذا الحدّ ، حيث يكشف جاليفر فى حواره التالي مع الملك عن نواقص خطيرة فيه تجعله نموذجا للجنس البشرى المدمّر البغيض الذى

أشار اليه الملك فى تعليقه . فيظهر جاليفر فى أصغر حجمه وأقصى دناءته عندما يعرض على الملك هدية ثمينة يعتقد أنه لا يمكن لأحد بقواه العقلية أن يرفضها . وهذه الهدية هي « سرّ اكتشاف البارود » . فيأتي ردّ فعل الملك عكس ما كان منتظرا ، اذ يرتاع للتفاصيل الفظيعة التي رواها جاليفر ، ويعتبره مجردا من الانسانية لأنه يروج تلك الأفكار الرهيبة ويحرّم عليه ذكر الموضوع كلية : « لقد ارتاع الملك للوصف الذى قدمته لتلك الآلات الفظيعة ، وللاقتراح الذى عرضته عليه . ولقد تعجب كيف تستطيع حشرة عاجزة دنيئة مثلي « هكذا كان تعبيره » أن تفكر بهذا الاسلوب الوحشي وكأنه شيء عادىّ ، دون أن تبدى أى تأثّر على الأطلاق لمشاهد الدم والخراب التي رسمتها كنتيجة طبيعية لتلك الآلات المدمرة ... أما من جهته هو فقد صرخ مؤكدا أنّ الاكتشافات الجديدة فى الفن والطبيعة هي أكثر الاشياء التي تدخل السرور الى قلبه ، .... » .

اذن ، أهل بروبدنجاج فى هذه الرحلة هم أيضا ممثلون للبشرية بما فيها من عيوب ومحاسن . فالملك كائن ذكي وعاقل وفاضل ، وتمثل أخلاقيته أحسن ما فى الانسان من ايجابيات ، ومع ذلك فهو ليس نموذجا مثاليا فوق مستوى البشر .

ولا يجد القارىء صعوبة فى مطابقة وجهة نظره مع وجهة نظر الملك . والعزوف عن وجهة نظر جاليفر . وتتلخص رحلة بروبدنجاج بأنها هجوم عنيف عن سلوك ودوافع الانسان الجنونية ، ودفاع عن السلوك الأخلاقي فى جميع نواحي الحياة .

٣ – الرحـــلة الى « لابوتا » و « بلنباربي » و « جلبدبريب » و « لجناج » : –
A Voyage To " Laputa " "Balnibarbi" "Glubbdbrrib" and "Luggnagg"

فى الرحلة الثالثة يسخر سويفت من بلاد فشلت بالاعتراف بالبديهية القائلة ان هدف العلم والتكنولوجية يجب أن يكون وأولا وأخيرا الفائدة التي تعود على الانسان . كما يكشف عمّا لا بدّ أن يحدث فى مجتمع أطلق فيه العنان للاتجاه النظرىّ البحت . والسخرية هنا أكثر شمولا اذ هي موجهة الى المواقف والانظمة المعاصرة والى السياسين ورجال العلم ومطورى الزراعة والمخترعين والمكتشفين ، وليست موجهة الى اشخاص أو سياسة بالذات . ويمكن القول باختصار انه يسخر هنا من سوء استخدام الانسان لعقله ، الواضحة فى الاتجاه الى الفصل بين العلم واحتياجات الانسان . ففلاسفة

لابوتا ، ومعناها الجزيرة الطائرة ، تائهون فى تجريدات الرياضيات والموسيقى والفلك ، وبدلا من أن تتبع الرياضيات الاشكال الطبيعية للأشياء ، فقد شكلّ اللابوتانيون الأشياء لتتفق مع الرياضيات . فقدموا غذائهم من طيور وحيوان على موائدهم بأشكال معينة . وطبقوا اسلوبا رياضيا معقداً فى حياكة الملابس ، فجاءت غير متناسقة مع مقاييس أجسامهم . وهم منقطعون عن العالم المادىّ تماما. ويرمز سويفت الى ذلك بصورة رجل ذىّ عين مصوّبة الى داخله والعين الأخرى الى السماء . وهم يكرسون كل جهودهم لأبحاث عابثة فى محاولة « لغزل خيوط العنكبوت » و « استخراج اشعة الشمس من الخيار » و « تليين الرخام لصنع وسائد صغيرة من أجل حفظ الدبابيس » و « استخراج الحرير الملون من الذباب » ، واكتشاف طريقة « للبناء من أعلى الى أسفل » . وهم الى ذلك لديهم « المنبهون» وهم المرافقون الذين ينبهوا الباحثين الى ما لا يسمعون أو ما لا يرون ، والذين « يحملون فى ايديهم قربا منفوخة تحوى الفول الجاف أو الحصى الصغيرة الحجم ينفخون بها قرب أذن الباحث الذى يرافقونه » . وليس هذا سوى تصوير ساخر للهوة الشاسعة بين «عقل» أهل لابوتا وحواسهم .

ولابوتا الجزيرة الطائرة هي أيضا صورة حية لما يحدث حين تتركز السلطة السياسية فى أيدى مجموعة من الناس غير العمليين الميالين الى التجريب والعفوية ، والبعيدين فى تفكيرهم عن احتياجات البشر الأولية . وتبدو مآسي وخطورة هذا النوع من الحكم عندما يزور جاليفر بالني باربي التي تحكمها لابوتا فيظهر لنا كيف أن الجزيرة الطائرة عديمة الصلة بالبلاد التي يحكمونها ويستغلونها : ويشير سويفت هنا بالذات الى حكم انكلترا الظالم لايرلندا .

وموقف جاليفر فى هذه الرحلة هو موقف الرجل العاقل المتزن الذى يتعجب مما يراه . وهو يلعب دور المتفرج الذى يلاحظ ويسجل دون أن يتفاءل أو يتأثر. وفى الوقت نفسه لا تمس القارىء سخرية سويفت فتفقده احترامه لنفسه بل يقف هو الآخر خارج نطاق ذلك العالم المصاب بلوثة الجنون . ولكن لا تلبث السخرية أن تأخذ لونا أشد قتامة وشكلا أكثر عمقا ، ويدخل القارىء مع جاليفر مع جديد عالم الأوهام وخداع النفس فى الرحلة الى لجناج .

يبني سويفت سخريته مرة أخرى في هذه الرحلة على موقف خيالي خرافي . ولجناج هي الـ « سترلدبغز » (Struldbuggs) أي الخالدين ، الذين يشكلون نسبة صغيرة

من سكان تلك البلاد . وكما هو الحال في جميع رحلات جاليفر يصوّر الكاتب الفكرة المجردة ، وهي فكرة الخلود هنا ، في صورة مجسدة ملموسة « فالخالدون يولدون ببقعة حمراء مميزة فوق العين اليسرى ، وتتحول هذه البقعة في مراحل متأخرة الى اللون الأخضر ، ثم الأزرق وفي نهاية الأمر الى الأسود » . وعندما يسمع جاليفر بهؤلاء « الخالدين » يسيطر عليه حلم الخلود الواهم الذي يجد فيه سعادة وحكمة لاحدود لها . لكن الرجل الذي تحدث اليه جاليفر من « الخالدين » يبتسم ابتسامة المشفق على سذاجة جاليفر ، ويأخذ في وصف حياة الـ « ستّرلدبغز » كما هي في الواقع وليس كما تصورها جاليفر . فيقول انهم يعيشون حياة طبيعية حتى سن الثلاثين ، ثم يبدو عليهم الاهتمام حتى سن الثمانين ، وعندئذ تظهر عليهم لاحكايات وضعف المسنين عامة وحسب ، بل وصفات أخرى تنشأ من « المصير المريع » أي الحياة الأبدية التي تنتظرهم . فهم لايتصفون بالعناد فقط وضيق الخلق والطمع والاكتئاب والغرور والثرثرة ، وانما يتصفون أيضا بفقدان المشاعر الطبيعية نحو الآخرين ، ويحسدون صغار السن على ملذاتهم ، كما يحسدون الموتى على تحررهم من حياة أصبحت كريهة اليهم . انهم يتذكرون بشكل غير دقيق الأشياء المتعلقة بشبابهم وكهولتهم فقط . أما أولئك الذين هم أسعد حظا فلا يتذكرون شيئا على الأطلاق . وفي سن الثمانين يعتبرون أمواتا بنظر القانون . أما في التسعين فيفقدون حواسهم وتستمر أمراضهم ، ويحرمهم فقدان الذاكرة من سلوى القراءة . وباندثار لغة الأكبر سنا منهم يصبحون غرباء وسط أهلهم . وبهذا يعيشون في وحدة أزلية قاتلة . و « أقوى المشاعر التي تسيطر عليهم هي الحسد والرغبات العقيمة . لكن الأشياء التي يبدو أنهم يوجهون ضدها مشاعر الحسد أساسا هي رذائل الأصغر سنا ، وموت الأكبر سنا . فعندما يتأملون الأول يجدون أنفسهم منقطعين عن أي أحتمال للمتعة وعندما يرون جنازة يندبون ويتبرمون لأن غيرهم رحل الى مأوى للراحة لا أمل لهم فيه أبدا » .

وكل هذا ينتهي بجاليفر الى أن يتحرر من أوهامه ويستيقظ من أحلامه ويتعلم أن الحياة تجربة صعبة وجادة ، وأن الانسان محدود في امكانياته وقدراته .

٤ - الرحلة الى بلاد الهوينوهمز : A Voyage To The Houghnhums :

يبدو سويفت في اوج عظمته كأديب ساخر في الرحلة الأخيرة الى بلاد الهوينوهمز التي هاجمها النقاد بعنف لأنهم اساؤوا فهم معناها ، وكان ثاكراى (١٨١١-١٨٦٣) الروائي الفكتوري الشهير ، واحدا من اولئك الذين أغضبتهم

،الرحلة الى درجة أنـه نصح مستمعاتـه من السيدات ، في محاضرة القاها عن سويفت في لندن « بالأمتناع عن قراءتها لأن سويفت رجل فاجر تماما ، يائس ، مجنون ، وعواطفه وحشية ، وقوتـه التي يتباهى بها وضيعة . وهو وصمـة للحيوان كما يستحق أن يكون فعلا . والجهل أحسن من « العقل » الذي يتشدق بـه . ويصف ثاكراي الاسلوب الذي يستخدمه سويفت في هذه الرحلة بأنه « أسلوب « الياهـو » الذي يسخر منه سويفت نفسه » . ويتابع « أنـه وحش مريع يصرخ ويزمجر ضـدّ الانسانية ... قذر في الفاظه ، قذر في فكره ، ساخط ، هائج وبذيء » . وفي الواقع تترك الرحلة هذا التأثير على كثير من القراء اذ تصيبهم في كبريائهم كبشر . فالسخرية هنا لم تعد مجرد هجوم على سلوك الانسان المعاصر وحياته الاجتماعية ونظمـه السياسية ، انما هـي أكثر شمولا ، تتناول جشع الانسان ودنائتـه وكبريائه وأوهامـه وتصرفاتـه الحمقاء في كل زمان ومـكان .

ولا شك أن أثر الصدمة يرجع الى صورتي الهوينوهم « الحصان العاقل الناطق » والياهو « الانسان الحيوان » اللتين يقارن بينهمـا جاليفر الانسان . حيث نجد هنا جاليفر بين « العقل » و« الحس » المجسدين فى الهوينوهمز والياهو على التوالي ، بعد أن كان فى ليلبيت وبروبدنجاج بين المارد والقزم .

والهوينوهمز كائنات لا علاقة لها بالجياد الا فى مظهرها الخارجى وهي مخلوقات تبعث على الاعجاب فى تلاؤمها التام مع العالم الطبيعي . انها هادئة لطيفة عاقلة متزنة فى اسلوب حياتها وسلوكها ، صادقة لا تتحدث الا عن الشيء الكائن . فهي لا تعرف الكذب ولا تحوى لغتها كلمة بمعنى « الكذب » ، وانما تعبر عنها بـ « الشيء غير الكائن » . والفضيلة عندهم هي المعرفة وأساس تفكيرهم العقل والمنطق . وبلادهم تشبه الى حدّ كبير الكمال الذى تصوره افلاطون فى « جمهوريته » المثالية التي يحكمها الفلاسفة .

أما الياهو ، وهو أقوى رمز ورد فى أى عمل من أعمـال سويفت ، فهو نقيض العقل ، أى أنه يرمز الى العنصر الحيواني فى الانسان ، تلك الناحية غير المستنيرة ، غير المتطورة ، اللا عاقلة فى الجنس البشرى . ويشعر جاليفر باشمئزاز لا حدّ له عندما يرى الياهو القبيح ظاهرا وباطنا . فشكله الظاهر القبيح المقزز بالشعر الكثيف الذى يغطي جسمه ومخالبه الطويله التي يستخدمها فى التسلق على الأشجار ، ما هي الا انعكاس لأخلاقيته المنكرة الكريهة . فهو جشع ، حانق ، حسود ، غيور ،

مغرور، بليد ، عبد للشهوة ولغريزة التملك ، خاو فكريا وعقليا وعاطفيا . انه أسير طبيعته الفاسدة وشهوانيته . وعلاقته ببني جنسه علاقة عدائية لان رغباته لا تعرف الاعتدال .

وهذه المقارنة بين الهوينوهمز والياهو ، بين العقل والحس المجردين ليست مقارنة بين نوعين مختلفين من البشر فلا يرمز الهوينوهمز أو الياهو الى الانسان على الاطلاق . وانما الذى يرمز اليه هو جاليفر الذى يشارك فى طبيعة كل من الهوينوهم والياهو طرفي النقيض . والحيلة التي يلجأ اليها سويفت فى هذه الرحلة هي الفصل بين العنصرين الاساسيين اللذين يتحدان فى الانسان ذى الطبيعة الثنائية ، وذلك كي يتمكن جاليفر من أن يتأمل كلا منهما فى جوهره . ويحكم جاليفر منذ أول وهلة بنفوره من الياهو وانكاره قرابته له وانجذابه نحو الهوينوهمز وادعائه القرابة لهم . وتكمن سخرية سويفت فى نظره كل من الياهو والهوينوهمز ، فبينما لا يجد جاليفر أى وجه شبه بينه وبين الياهو يرى الهوينوهمز هذا الشبه واضحا ، بل أنهم يندهشون عندما يبدى جاليفر ما يدل على العقل والقدرة على الكلام مثلهم ، فهو بالنسبة اليهم ليس الا ياهو وللتأكد من ذلك يضع بعضهم جاليفر جنبا الى جنب مع ثلاثة من الياهو للمقارنة . وتكون الصدمة المروعة عندما تنجلي الحقيقة لجاليفر شيئا فشيئا ، فجسم الياهو جسم انسان كامل ، مع بعض الاختلافات فى حجم الاعضاء كالشفة والوجه والأنف ولكنها اختلافات تشترك فيها جميع الأمم المتوحشة ، أما يداه فتمثلان يدى جاليفر اذا ما تجاهلنا طول الأظافر وخشونة راحة اليد وكثافة الشعر على ظهرها والاقدام كذلك
ويكتشف أحد الهوينوهم ذلك عندما يرى جاليفر نائما وقد خلع ملابسه . كما وهو يستحم فى النهر حيث تراه أنثى ياهو شابة فيثير فيها رغبة شهوانية باعتباره واحدا من ابناء جنسها . فتقفز الى النهر وتعانقه بعنف ولا يستطيع أن يتخلص منها الا عندما ينقذه أحد خدم الهوينوهمز . وبعد هذه التجربة يصبح من المستحيل أن ينكر جاليفر حقيقته « الياهوويه » أو أن يخفيها .

ومع ذلك فقد اعترف الهوينوهمز بأن هناك اختلاف بين جاليفر والياهو أساسه مظاهر العقل التي تبدو عليه . ولكن هذا الاختلاف يزيد نفورهم منه بدلا من أن يقربه منهم . فمظهر العقل لديه ليس الا « زيف وخداع .. وهذا يجعله أحطّ من الياهو» .

اما جاليفر فبدأ بالاعجاب بالهوينوهمز وانتهى بقبول حكمهم عليه وعلى بني البشر عامة ، ولم يعد يطيق النظر الى نفسه فيقول : « اذا ما تصادف أن رأيت انعكاس

صورتي فى بحيرة أو نهر ، أدرت وجهي بانزعاج ، شاعرا بالبغض نحو شخصي . انني احتمل مظهر الياهو العادى أكثر مما أحتمل مظهرى » . ولكن ، مع ذلك ، لا يبدو أن سويفت قد أراد للقارىء أن يرى فى الهوينوهمز مثلا أعلى يحتذى ، بل على العكس فانهم قد يثيرون الضحك احيانا بل والنفور . ونشعر باشمئزاز جاليفر فى حبهم . وهذا مما يشير الى صفة التركيب والاسلوب غير المباشر فى سخرية سويفت . الذى كان أول من لفت الانظار اليه الناقد ف . ر . ليفيز فى مقال مشهور بعنوان « سخرية سويفت » .

وأخيرا . فان رحلات جاليفر هي ابداع سويفت الانسان الذى جمع بين صفات الياهو والهوينوهمز فالغضب والغيظ والحدة والعنف والكره التي عبّر عنها سويفت كلها من صفات الياهو لكنه وجهّها ضدّ أسوأ الرذائل لأنه أراد للانسان أن يكون فاضلا لا مجموعة مشوهة من الشرور .

واذا كان سويفت سوداويا أو متشائما فهو يترجم هذا الغضب من الانسان بسبب كل نقائصه وقصوره عن تحقيق الكمال . ويتوسل الى ذلك سخرية عميقة عبقرية تقوم أساسا على المفاجأة والنفي ، فوظيفتها الأولى أن تقهر المألوف وما تعودنا عليه وتثير خوفنا وحيرتنا وتناقش مسلماتنا ، على حدّ تعبير الناقد المعروف ف. ر. ليفيز. ورحلات جاليفر هي انتاج روح متقّدة وعقل متيّقظ عبقرى وضع تهكمه الساخر بأسلوب ممتع جذاب وبقوالب فنية عبقرية ، ومن أجل الانسان فى النهاية وعلى الرغم من كل شيء .

وغريغورى غورين ، مثله فى ذلك مثل سويفت ، يفاجئنا ويقهر مألوفنا ويثير دهشتنا وتساؤلاتنا . وهو فوق كل شيء لا يخشى التصدى لمسرحة ابداع عظيم مثل ابداع سويفت ، بل ينبرى له ليعيد صياغته وليقول لنا ما هو جديد ، فى ذات الوقت الذى يضطرنا فيه لاثارة تساؤلاتنا القديمة الجديدة .

مسرحية غورين مسرحية بالمعنى الشامل ، ونوع من اللعبة مع اسماء وموضوعات معروفة جيدا . ومثل هذه المسرحيات ليست جديدة فى القرن العشرين بل هي مستمدة من المسرح الفرنسي العقلاني حيث يختلط الكوميدى بالتراجيدى . وكما نعرف فان غورين منذ مسرحيته الابكر « انسوهيروستراث » وهو يميل الى هذا الشكل الفني .

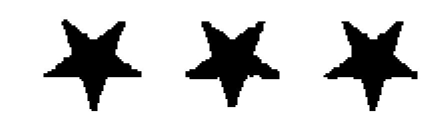
حول ماذا تدور مثل هذه المسرحيات ؟ ما الذى تمسرحه ؟ انه الحياة والموت والحب والكراهية والفن والفنانين وهي فى الوقت نفسه هزل وسخرية من الحياة والموت والحب والكراهية والفن والفنانين . وهي الى حدّ بعيد تمسرح تلك الاشكال من سقط المتاع والهراء من وجودنا . ومثل هذه المسرحيات تقحم كل من القراء والجمهور بحيث يأخذون بأنفسهم دورا فى اللعبة الفكرية المحتدمة على خشبة المسرح لانها محتدمة فوق مسرح الحياة .

يتم التعامل مع الأحداث هنا فى المسرحية بأسلوب الخطف خلفا ، اذا استخدمنا تعبيرا عصريا . فسويفت كتب مؤلفاته الساخرة المتألقة اللاذعة ولكن مرّ زمن مديد على موضوعاتها والظروف المحيطة بها منذ أن خرجت من الذاكرة ، لكنها تظل جديرة بالملاحظة على نحو استثنائي ، ولو لعمق السخرية التي بثها سويفت فيها على الأقل .

ومع ذلك لا يستسلم غورين لإغراء وضع شخصية على خشبة المسرح كي تنطق بالانتقادات الساخرة العنيفة التي كتبها سويفت . وعبر كل المسرحية تقريبا يظل سويفت صامتا . كل ما حوله محتدم أو متفجر أو تافه ، وتحصل أشياء سخيفة منافية للعقل . لكنه لا ينبس ببنت شفه . الا أن المسرحية بكاملها تتنفس روح سويفت . فهي تحيي وتبعث موضوعات وشخصيات من العمل الاعظم لسويفت رحلات جاليفر . لكن الليبتانيون والمردة وغيرهم الموجودون هنا حاضرون لا كما أبدعهم سويفت بالأصل وانما كشخصيات بخصائص جديدة . ولم لا ما دام الحدث يقع بعد كتابة سويفت لرائعته ؟ قال سويفت كل ما أراد قوله ، لكن الحياة واصلت سيرها . واذا لم تكن قد استمرت السخافات والجنون فتفاهات النوع البشرى كلها ، فان الكثير منها لا يزال موجودا ، وبنفس الشكل تقريبا الذى سجلته عبقرية سويفت الساخرة .

« البيت الذى شيدّه سويفت » ليست موضوعية بمعنى انها تستمد موضوعاتها ومادتها مما يجرى من أحداث الآن . ولكنها وثيقة الصلة حقا بموضوعها الحاضر الذى تمكن غورين من أن يعكسه على الحياة وعلى قسمة الانسانية بشكل عام . ورغم أن هذه قضية خطيرة من الصعب على المرء أن يتكلم عنها بالمجرد . الا أنّ سويفت أجاز لنفسه أن يفعل ذلك . فلم لا يمكن لأبنائه الشباب وورثته أن يتبعوا خطوات المعلم العظيم ؟

كان من الأسهـــل على غورين أن يسلك سبيــل اعـــادة وتكـــرار الدعـابـات والنـكات والسخريـــة والتهكم التي خلفهـــا لنا سويفـــت . لكن غـورين لديـه ذكاؤه النفّاذ وفكره الشامل وفطنته المتوقـدة ، لديه سخريته وعقله الواسع الفسيح . ولديه بالفعل ما يقوله لنا .



مراجـــــع المقـدمـــــة

(١) Ashort History of Enghish Literature Ifor Evans. Penguin Books.

(٢) Soviet Theatre 1 / 1987

(٣) دليل القارىء الى الأدب العالمي : هيرلاندز – بيرسي – بروان – ترجمة محمـد الجـورا – دار الحقائق .

(٤) رحلات جاليفر : نور شريف – عالم الفكر – المجلد الثالث عشر – العدد الرابـــع – يناير – فبراير مـــارس ١٩٨٣ .

(٥) جوناثان سويفت وصـوت العقـــل المجنـــون – ترجمة وتعليـق د. أمـيرة حسن نويرة – عالم الفكـــر – المجـــلد الخامس عشر – العدد الثاني يوليـــو – اغسطس – سبتمـــبر ١٩٨٤ .

البيت الذي شيّده سويفت

تأليف : غريغوري غورين

ترجمة : ثائر ديب

مراجعة : د. أحمد البكري

العنوان الأصلى للمسرحية :

The House That Swift Built

A Theatrical Fantasy in Two Acts

شخصيات المسرحية

جوناثان سويفت	Jona Than Swift
ريتشارد سيمسون : الطبيب	Dr. Richard Sympson
استير جونسون : مدبرة البيت ، ممرضة	Esther Johnson, Anurse
فانيسافا نومرى : مدبرة البيت ، ممرضة	Vanessa Vanhomrigh,
باتريك : خادم	Patrick, Asteward
قاضي القضاة	Justice Biggs
الوزير الأول	Lord Lieutenant
الاسقف	Bishop
العالم	Scientist
ليليتاني أول	First Lilliputian
ليليتاني ثان	Second Lilliputian
المارد جلم	Giant Glum
صمبدى « أحد ما »	Somebody
لابوتاني	Loputian
الشرطي جنجر	Ginger Cons Table
الشرطي دارك	Dark Cons Table

مواطنون ، ممثلون ، أعضاء مجلس الأوصياء ، موسيقيون

Citizens, Actors, Members of The Board of Guardians, Musicians,

---

الزمان : ١٧٤٥ .

المكان : دبلن .

« استهـــلال »

« دبلـن . الساحـة أمـام كاتدرائية سانت باتريك . الناقـوس يدق لحـن الحـداد . مجموعـة من المواطنين واقفـــون مطرقي الرؤوس . الرجال رفعوا قبعاتهم . شاب بثياب السفر يطل برأسه من العربـــة . انه الطبيب سيمسون » .

الطبيب : مرحبا يا سادة ، ما الذي حدث ؟ لمن يدق الناقوس بهذه الصورة الحزينة ؟ من مـات ؟

مواطن أول : سويفـت .

الطبيب : مـن ؟

مواطن ثان : الدكتور سويفت . عميد كاتدرائية سانت باتريك .

مواطن أول : (بحزن) : نصيرنا . الصديق الطبيب للفقراء والبؤساء والمعذبين .

الطبيب : يا للأسف ... متى مـات ؟

مواطن أول : اليوم ، في الساعة الخامسة ، كالعادة ، يا سيدي .

الطبيب : (بدهشة) : كالعادة ؟ ما الذى تعنيه ؟

مواطن أول : كالعادة .

الطبيب : فكّـر بما تقوله ، يا رجـل !

مـواطنـة : آه ، يا سيدي ، لابـدّ أنك قادم من بعيد ؟ مؤكد أنّك لاتعرف عميدنا الطبيب ، فهو صارم وحريص تماما في عاداته ، يجب النظام في كل أمر ، مهما يكن . وعليه أن يرحل الى العالم الآخر ، سيكون ذلك في الخامسة ، وعلى وجه الدقـــة .

الطبيب : هـو حـي اذن ؟

مواطن أول : مـن ؟

الطبيب : العـميـد !

مواطن ثان : وكيف يمكن ذلك ؟ قلنا لك أنه مـات .

مواطنـة : كل الصحف تناقلت الأخبار وناقوس الجنّاز ظلّ يدق ساعة أو أكـثر .....

مواطن أول : انظر ، ها هو قـادم بنفسه .

الطبيب : مـن ؟

مواطن أول : سويفت . من الأفضل أن تسألـه .
« سويفت يسير صامتا . لابسا الغفّارة السوداء والياقة البيضاء التي يرتديها عضو الكنيسة الانغليكانيـــة » .

الطبيـب : عفوا ، دكتور سويفت !
« يتوقف سويفت »
أنا الطبيب سيمسون . جئت من لندن . مهمتي مساعدتك في التخلص من اعتلال الدمـــاغ ... وعلى حين غرة اخبرني هـؤلاء أنك ميـت .
« يومئ سويـفـت برأسـه صامتا »
كم هـو مسلّ هــذا ! ولكن اذا أجزت لي القـول ، يا سيدي ، كل هــذا ليس الا وهمـــا ! هاجـس يمكننـا معالجته بلمح البصر ، فقط لـو خضعت للعلاج ... هل تسمع ما أقـول ؟
« سويـفـت يسير مبتعدا دون أن يرّد »
اجبني ، يا سيدي ! كلمـة واحـدة وحسب ! أتوسل اليك !
« يخـرج سويـفـت »

مواطن أول : (بضحكة) : حسنا ، أيها الطبيب ، لابد وأنك تومـا الشكوك ! .

مواطنـة : كل الصحف تناقلت الاخبار ، ناقوس الخبّاز ظلّ يدق ساعة أو أكـثر ... وها أنت تريد التحـدّث مـع الراحـل ...

الطبيـب : (بنفاد صـبر) : انظروا ، من أنتم على أيـة حال ؟

مواطن أول : من نحـــن ؟!

مواطن ثـان : ضيوف الدكـتـــور سويـفـت !

مواطنـــة : بكرم دعينا الى بيتــه . لنسهر على جثة العميد الجليل قبل دفنها .

الطبيـب : (ساخرا) : آه هكذا اذن ؟ لابـدّ أنكم مجانين أيضا ؟

مواطنـــة : بالطبـع ، نحن كذلك ، يا سيدي ، ألست مجنونا ؟
« يحدقون في الطبيب بفضـــول » .

الطبيـب : (متراجعا) : تراجعوا ! « يقفز الى العربـــة »
« تنطلق العربة . يلاحقها المواطنون بنظرات الدهشـة »

مواطن أول : يا لـه من طبيب مضحك !
« يضحك الجميع . الناقوس يدق بصوت أعلى » .

الفصـل الأول

(١) - ضيـوف منـزل سـويفـت

« صوت تحطم زجاج . حجر مقذوف من الشارع يسقط فى احدى حجرات المنزل الكبير الذى يسكنه جوناثان سويفت . نوافذ وأبواب عديدة . فى الخلف درج شديد الانحدار يفضي الى الدور العلوى . باتريك ، الخادم ، متوسط العمر ذو وجه جامد ، يدخل ويبدأ بازالة الزجاج المكسور . يتلو دخوله دخول فانيسا ، الممرضة ومدبرة المنزل . تتجه الى مكتب وتخرج مفكرة » .

فانيسا : (تكتب فى المفكرة) : « الخامس من اكتوبر ، كسرت نافذة فى منزل جوناثان سويفت » .

باتريك : (مكتئبا) : الرابعة خلال اسبوع واحد ، لو سمحت لي أن أقول ذلك .

فانيسا : (تكتب) : « الرابعة خلال اسبوع واحد » يا باتريك لكي اكون صادقة معك ، بعد موعظة الأحد الماضي توقع العميد نجاحا اكبر من ذلك .... هذا الحجر صغير جدا .

باتريك : (ملتقطا الحجر) : اسمحي لي أن أخالفك ، يا آنسة فانيسا ، انه كبير تماما فيما أرى ... يذهب فيضع الحجر فى احد الادراج » .

فانيسا : أهناك ضيوف كثر فى البيت ؟

باتريك : كالعادة ، يا آنسة فانيسا .

فانيسا : من هم ؟

باتريك : لا أعرف الجميع . هناك جلم المارد ... بعض من أهل الجزيرة الطائرة ... بعض الجياد ...

فانيسا : (مصحّحة) : قلت لك هوينوهمز . يا باتريك .

باتريك : آسف جدا . يا آنسة . هوينوهمز . وهناك أيضا ... ذاك الذى يعيش الى الأبد .

ثانيا : السيد صمبدي ؟

باتريك : أجل . والليليبتانيون . يا آنسة . انهم مزعجون . لا أستطيع المضي فى عملي خشية أن أدوس عليهم .

فانيسا : ارسلهم جميعا الى الحديقة . أريد للدكتور سويفت أن يحتسي شايه هنا بسلام وهدوء .

باتريك : لطالما طلبت منهم ذلك . لكنهم لا يصغون ... انهم يطلعون من النوافذ . يبزغون من خلف الأبواب . وهؤلاء الليليبتانيون . يا آنسة . مزعجون الى حد أنهم قد يدخلون تحت قدميك ... وكما تعلمين فان الخدم أيضا لديهم طاقة للتحمل .

فانيسا : أعرف ذلك جيدا ! خصوصا عندما أنقدك أجرك .

« تخرج فانيسا . باتريك يدير طاولة صغيرة ، يشعل مصباحا كحوليا ويعدّ الشاى . شخص كئيب يدخل من أحد الأبواب ، مرتديا زيا غريبا ، قبعة بولر انكليزية سوداء مستديرة ، معطف فراك أسود حتى الركبتين ، وشيئا آخر يبدو هجينا بين رداء اغريقي أو روماني طويل يشدّ بحزام حول الخصر وبين التنورة ، وينتعل فى قدميه ما يذكرنا بالصندل الاغريقي . انه السيد صمبدى » .

صمبدى : عمت مساء يا باتريك .

باتريك : عمت مساء يا سيدى . نلتمس من الجميع النزول الى الحديقة .

صمبدى : ربما هو الصباح الآن ؟

باتريك : ممكن جدا ، يا سيدى . نلتمس منك النزول الى الحديقة .

صمبدى : حسنا ، عمت صباحا اذن !

باتريك : عمت صباحا ، سيدى . « يحاول أن يقوده خارج الغرفه » .

صمبدى : (مقاوما) : ولكن ما التاريخ ؟ ما هو التاريخ ؟

باتريك : الخامس من اكتوبر .

صمبدى : وما العام ؟

باتريك : ١٧٤٥ .

صمبدى : قبل الميلاد أم بعده ؟

« باتريك ، وقد تحمل فوق ما يطيق ، يدفع صمبدى خارج أحد الابواب . وما هي الا لحظة حتى يعاود صمبدى الظهور من باب آخر . قرع شديد على باب ثالث . يفتح باتريك الباب فيواجهه زوج حذاء هائل . يرد باتريك رأسه للخلف كي يخاطب الشخص المحجوب » .

باتريك : سيد جلم ، سبق وان التمسنا منك عدم دخول هذه الغرفه . خاصة بحذاء وسخ . امض الى الحديقة . ماذا ؟ ماذا ؟ لاأسمعك ! انحن ... « لصمبدى » لو أنه يخبط رأسه فقط ! ... « متراجعا وهو ينظر الى أعلى » كلا لانسيلوتك لم يأت مهرولا ! « يصرخ » السيد لانسيلوت لم يأت ! لم يأت ... كلا ، يا سيدى ، أرفض أن أصعد ثلاث مجموعات من السلالم فى كل مرة كي أردّ عليك !

صمبدى : لانسيلوت ؟ هل قال لانسيلوت ؟ كيف يمكن هذا ؟ هل نحن فى العصور الوسطى اذن ؟

باتريك : « ملوحا له بيده كي يبقيه متنحيا » ممكن جدا « يحاول ان يغلق الباب لكن احدى فردتي الحذاء الهائل تمنعه » كن لطيفا واسحب قدمك خارج الباب ، يا سيدى !

صمبدى : « لباتريك » : لا تغضب منى ، أيها الخادم . أحاول فقط أن أعرف صلاتي مع الزمن . عندما يعيش شخص الى

الأبد ، مثلي ، يضحي الزمن متخثرا فى دماغه ، وتتكدس السنون فوق بعضها البعض . أحيانا ، ببساطة ، لا أعرف أىّ ألف عام أحيا . اين نحن الأمن ، يا باتريك ؟

باتريك : « محاولا كبح انفعاله » : سيدى ، أنا أعدّ الشاى . يجب أن لا توجه مثل هذه الاسئلة الحمقاء لشخص والماء المغلي بين يديه .

صمبدى : ومن أكلّم اذن ؟

باتريك : « يأخذ صمبدى من ذراعه ويقوده الى النافذه » انظر هناك – انظر شجرة البلوط تلك . نعم تلك الكبيرة الضخمة ... سيكون جميلا منك أن تحادثها – هي أيضا عمرها خمسمائة عام تقريبا .

صمبدى : خمسمائة عام فقط ! يا الهي ! أتذكرها وهى جوزة .
« باتريك يسقط ابريق الشاى . تظهر وجوه المواطنين الضاحكة من النافذة » .

باتريك : (كابحا نفسه) : والآن فعلتها يا سيدى . جعلتني اتلف الشاى ! « يجذب صمبدى من ياقته ويدفعه خارج الغرفة » .
« ولكن الباب يفتح ثانية ويدخل الطبيب سيمسون فى ثياب السفر يحمل حقيبة كبيرة » .

الطبيب : عمت ظهرا ! أنا الطبيب .

باتريك : « يتقدم منه بقبضتين مضمومتين » آسف ، يا سيد ، لقد نفذ صبرى « يزعق » الى الحديقة ! ! !

الطبيب : أنا الطبيب سيمسون .

باتريك : الجميع الى الحديقة ! وان أمسكت بوغد آخر .. « ينتبه لما قاله » آه ، انا آسف جدا ، يا سيدى . ما اسمك ، قلت لى ؟

الطبيب : سيمسون . الطبيب سيمسون . الطبيب النفساني .

باتريك : آه ، استميحك عذرا ، أيها الطبيب ! مسرور جدا لرؤيتك . أعلموني بأنك قادم .

الطبيب : ألهذا انقضضت عليّ ؟

باتريك : استميحك عذرا ثانية ، يا سيدى . ولكن حتى الخدم لديهم طاقة للتحمل . الأمور هنا تدعو للتذمر .

الطبيب : وما الذى يدعو للتذمر هنا ؟

باتريك : انه منزل مجنون . حقا انه منزل مجنون !

الطبيب : « يتطلع من النافذة » : لست متأكدا تماما من ذلك . لقد عملت فى مؤسسات كهذه . مظهر منزلكم مختلف بعض الشيء . وهؤلاء الناس لا يبدون مجانين .

باتريك : « مبتهجا » وهذا ما أشك فيه أيضا ! انهم جماعة من المحتالين ، يا سيدى ! محتالون وأدعياء !

الطبيب : لم تفسح لهم المجال اذن ؟

باتريك : انها أوامر العميد . مشيئته ووصيته الاخيره أنت تعلم ، يا سيدى ، أنّ سيدنا العزيز عندما مات أول مرة ، أعلن وصيته . منزله وكل ملكيته خصصت للمجانين . أسمعت طوال عمرك بمثل هذا ؟ ويمكنك أن تتخيل ماذا كانت النتيجة فى ايرلندا ؟ حلّت عندنا حشود المتسولين . المردة ، الهوينوهمز و ... سكان الجزيرة الطائرة . والأسوأ بين الجميع .. اولئك الليليبتانيون .

الطبيب : (يلتفت مهتما الى باتريك) : من ؟

باتريك : الليليبتانيون ، يا سيدى ! انهم يسرحون ويمرحون فى كل أرجاء المنزل . صار المكان حقلا للألغام . نخشى أن ندوس عليهم . الخدم أيضا لديهم طاقه للتحمل ، كما تعلم .

الطبيب : اهدا يا باتريك . سوف أعمل لاعادة النظام فى هذا البيت .

باتريك : « ناظرا بحزن الى الطبيب » : كم عمرك ، يا سيدى ؟

الطبيب : ثلاثون . لم تسأل ؟

باتريك : ذات عمر الطبيب السابق . عندما غادرنا ، كان فى السبعين. رغم أنه لم يمكث معنا سوى اسبوع واحد فقط .
« الناقوس يدّق . سويفت والممرضة فانيسا يظهران فى خلفية الغرفة » هل أعلن عن مجيئك ؟

الطبيب : لا . أود أن أراقب ، أولا .

باتريك : ولكن قالوا لي أن أخبرهم بوصول الطبيب حال قدومه .
« الدكتور يتقدم من باتريك ويهمس فى اذنه شيئا ما » .
« يطقطق بكعبيه بطريقة عسكرية » عظيم ، يا سيدى !
أنت الرجل الذى نحتاجه تماما ! « يرفع صينية الشاى ويحملها باتجاه سويفت وفانيسا ، الشاى جاهز ، يا سيدى !
« الدكتور يختبيء خلف خزانة الكتب . سويفت يجلس الى المنضدة . باتريك يلفّ منديل المائدة حول عنقه . يبقى وجه سويفت جامدا » .

فانيسا : « تنظر حولها » : ألم يصل الطبيب بعد ؟

باتريك : أجل ، لقد وصل ، يا آنسة فانيسا « يلاحظ نظرتها المستهجنة » كنت سأعلن قدومه ، لكنه لم يدعني . قال أنه يريد أن يلقي نظرة أولا .

فانيسا : حقا ؟ ! عظيم ... وكيف تجده ، يا باتريك ؟ ألا يبدو لك الطبيب الجديد أحمقا بعض الشيء ؟

باتريك : « مرتبكا » : أنا لم أقل ذلك .

فانيسا : أحمق ومغرور . على الأقل هذا ما يقوله كل من رآه . وللعميد الرأى ذاته . أليس كذلك أيها الجليل ؟
« سويفت لا يكترث »

أوافقك تماما ... وبما أن ترشيحه لقي دعم مجلس الأوصياء والوزير الأول ، فاننا لا نستطيع توقع الكثير. أليس كذلك ، أيها الجليل ؟

« لا تتغير ملامح سويفت »

ملاحظة صائبة تماما ، يا سيدى . صائبة تماما ... « تبتسم » وأنا أوافقك !

باتريك : « يرفع صوته متعمدا » : لو سمحت لي ، أيها الجليل ، فان الطبيب الجديد خلّف لديّ انطباعا حسنا . نظرة ثاقبة ، وجه حاد الملامح ... وآمل أن يكون سمعه جيدا أيضا .

فانيسا : « بصورة جافة » : سوف ننظر فى رأيك ، يا باتريك . والآن اتركنا .

باتريك : حسن جدا ، يا آنسة ! « يسير بضع خطوات ، ثم يتمهل ، وكأنما يخشى أن يطأ بقدميه شيئا غير مرئي » هش !

انهم يسرحون ويمرحون فى كل مكان ، هؤلاء الأقزام .. ومع ذلك ، لا بأس فلن يطول بقاؤك ! « يخرج »

فانيسا : « لسويفت » : ان لم يكن لديك اعتراض ، يا سيدى ، فسوف أقدم لك تقريرا عن بريد اليوم ونحن نشرب الشاى « ترفع طبقا مليئا بالرسائل والصحف » الحدث الرئيسي هو رد الفعل على موتك الأخير . كل الصحف تقرّ بأن السهرات على جثة الميت قبل دفنها اتصفت بحماس منقطع النظير هذه السنة . وقد عمّت المظاهرات ايرلندا طولا وعرضا . كما حدث شغب فى دبلن . السيد هورنرى ، عضو البرلمان ، سأل فى البرلمان « حتام سيسمح للعميد سريفت بالسخرية من بريطانيا ؟ « وحتى أنه قدّم مذكرة يحظر عليك فيها الموت » تبتسم « لكن اقتراحه لم يتجاوز التلاوه الأولى . اذ صرّح عضو المعارضة أن انجلترا بلد ديمقراطي ، ومواطنيها الذين

لايعيشون فى حرية كامله على الرغم من ذلك ، يجب أن يكون بمقدورهم ، على الأقل ، أن يموتوا متى يشاؤون !

« تبتسم » هذا تعليق يحلو لك تماما ، يا سيدى ، أليس كذلك؟ وها هنا رسالة من فرنسا . أحد المعجبين بك بعث اليك برأى فولتير فى أعمـالك : « سويفت أعظم هجّاء فى عصرنا ، فالهجاء عنده ليس شكلا فنيا خالصا وانما هو الضرورة المأساوية لاقصاء الايديولوجيات من حياتنا المعاصرة » مارأيك ، يا سيدى ؟

« تبق ملامح سويفت ثابتة »

« امرأة تقارب الاربعين من عمرها تظهر عند النافذة . وهي تحمل باقة من الزهور البّرية . انها استيرجونسون . تحاول استير ان لا تثير الانتباه وهي تضع الزهور فى المزهرية »

« باستياء » آنسة جونسون ، لطفا ، إمضي الى الحديقة .

استير : « بتهذيب زائد » : عمت ظهرا ، ايتها الممرضة . مسرورة جدا لرؤيتك .

فانيسا : وأنا كذلك ، آنسة جونسون . امضي الى الحديقة . سيوافيك العميد فيا بعد .

استير : لقد أحضرت له بعض الزهور .

فانيسا : هذا لطف كبير منك . ولكن لدينا الكثير من الزهور فى هذا البيت .

استير : هذه زهور بريّة . العميد يحبها اكثر من كل الزهور .

فانيسا : « وقد بدأ صبرها ينفد » : أنت تعطلّين العميد ، آنسة جونسون .

استير : لقد جلبت له حلوى للشاى . انها المفضلة لديه — حلوى التفاح .

فانيسا : لم يمس العميد حلوى التفاح أبدا . صدقيني ، أعرف عاداته مثلك تماما ، أرجوك ، اذهبي الى الحديقة !
« تحاول سحب الستائر »
« استير تحاول منعها »
سوف تمزقين الستائر ، يا آنسة جونسون !

استير : سأخيط لك ستائر جديدة ، أيتها المرضة . زرقاء فاتحة من قماش منقّط . سوف تكون رائعة .

فانيسا : لست معجبة بذوق طبقتك الدنيا ، يا آنسة جونسون . اذهبي الى الحديقة والا استدعيت الخدم وسوف يسحبونك بالقوة الى هناك !

« سويفت يتجهم وينهض فجأة عن المنضدة »

« تهرول اليه مذعورة » ما الخطب ، أيها العميد ؟ اعذرني ، ليس لدىّ أية نية فى ايذاء هذه المرأة . وأنت تعلم مشاعرنا الطيبة تجاه بعضنا البعض . اخبريه ، يا آنسة جونسون ، أن الأمر كذلك ! انظرى كم هو شاحب . من السيء بالنسبة له أن يضطرب !

« استير تنسحب حزينة . سويفت يحاول الاقتراب من النافذة »

« فانيسا تسحب الستائر بسرعة » لا ، يا سيدى . دعها تمضي . فهي ليست ستيلا . كما شرحت لك ، انها مجرد واحدة من زوارك المجانين . ستيلا ماتت . ومنذ سنوات عديدة . أنت تعرف ذلك ... وهذه المرأة لا تشبه ستيلا حتى . ثمّ ولو كانت تشبهها ؟ لا أستطيع أن أفهم كيف تعجبك امرأة بهذا المظهر .
ان لك ذوقا رفيعا ... « تلاحظ نظرة العميد الغاضبة » آه ،

اعذرني ، ياسيدى ! لم اكن لبقة فى كلامي ! وبالكاد أدرك ما أقول ...

« سويفت يسير صامتا باتجاه أحد الأبواب »

« تلحق به » اعذرني ، يا سيدى ... أنت لم تنه شايك حتى... آه ، ما هذا الذى فعلته ...

« تخرج فانيسا وسويفت . يظهر الدكتور من مخبئه وينظر حوله بدهشة . يتفحص المكتب واللوحات . يسير عدة خطوات وفجأة يتعثر فى مشيته فيلهث خائفا . يحدق فى الأرضية ، ثم يجلس على الكرسي ذو الذراع الى طاولة الشاى . الضوء يخبو قليلا ... طرف الطاولة ، حيث كان سويفت جالسا ، يتضخم بسرعة . شخص بالغ الصغر يظهر متسلقا غطاء الطاولة كي يبلغ أعلاها » .

(٢) – الليليبتـــانيـــون

« طرف الطاولة . كوب الشاى الهائل الحجم يتصاعد منه البخار . قربه صحن يحوى كعكة بالقشدة أكل نصفها وعليها شوكة . فى صحيفة الشاى قطعتا سكر . على الطاولة مصباح ضخم مشتعل . فى هذا الوقت تسلق الليلبتانى الأول غطاء الطاولة وصار فوقها . ينظر حوله ، ومن ثم يتجه الى كوب الشاى ويقيس نفسه عليه . الكوب أطول منه مرتين تقريبا . بعد ذلك يتجه الى قطعتي السكر ويحاول جاهدا رفع واحدة منهما ، ولكنه يخفق . فى هذه الاثناء الليليبتاني الثاني يتسلق غطاء الطاولة ويقف مراقبا الأول » .

الثاني : تريد شيئا حلو المذاق ؟

الأول : « مروعا » من هذا ؟ أهو أنت ، يا ريلب ؟

الثاني : ومن تظن اذا ؟

الأول : أنا أسأل ؟ أهو أنت ، يا ريلب ؟

الثاني : سؤال غريب ، يا جلم . « يضحك متهكما » يبدووكأنه نكتة . مجموع ما فى هذا البيت من ليليبتانيين اثنان ، وعندما يلتقيان ، يسأل واحدهما الآخر ، « ألست أنت ؟ » لم تسلقت الى هنا ، يا جلم ؟

الأول : شعرت بالظمأ .

الثاني : أليس ذلك غريبا ؟ وما ذاك الذى تدسّه فى حزامك ؟

الأول : قارورة .

الثاني : وما الذى ستفعله بها ؟

الأول : ولم تستجوبني بهذه الصورة ؟

الثاني : لانك كذاب ولا تريد أن تقول الحقيقة ! ولكن يتعين على شخص ما أن يقولها ، وسوف أقولها أنا . أنت ، يا جلم ، ليس فى نيتك شرب الشاى أبدا . بل أردت أن تأخذ بعضا منه الى بتي .

الأول : حسن ، وماذا لو فعلت ؟ انها مريضة . وهي تحتاج الشاى بالليمون .

الثاني : « بعنف » انظر هنا ، يا جلم ، لا أحب سماع أحد يشير الى زوجتي بـ « هي » . ثم ، زوجتي مريضة ، أو زوجتي محمومة ، أو تحتاج شايا بالليمون ! فان عملى هو أن اتولى تنفيذ ذلك .

الأول : لكنك لم تكن هناك .

الثاني : عذر أقبح من ذنب . فالرجل الغريب لا يحب أن يدخل غرفة امرأة بينما زوجها غائب . هل هي التي نادت عليك ؟

الأول : أجل .

الثاني : وكيف ؟

الأول : كانت تئن .

الثاني : النداء والأنين أمران مختلفان ، يا جلم ! فأنت تنادى أحدا ما على وجه التحديد ، ولكنك تئن على العموم على مسمع من العالم كله . « ينتزع منه القارورة » ولا أريدك أن تدخل بعد الآن ، ان لم يدعك أحد بالتحديد . « يتحول الى الكوب ، ولكنه يتحقق عندئذ أنه لا يستطيع بلوغ حافته . ينظر حوله يائسا » .

الأول : انه مرتفع جدا !

الثاني : كم أمقت هذا الخزف الساكسوني . أطقم الشاى اليابانية أفضل بكثير . اكواب صغيرة جميلة على مستوى الصدر ، لا مثل هذه القدور الضخمة القسحة .

الأول : أردت أن أضع قطعة من السكر لأقف عليها .

الثاني : حسن ، ولم لم تفعل ؟

الأول : انها ثقيلة جدا . لا أستطيع رفعها وحدى .

الثاني : « بضحكة لاذعة » : من الأفضل أن أحاول اذن .
« يتجه الى قطعة السكر ويجهد جهيد يرفعها عن صحن الفنجان ، يسير بضع خطوات متعثرة عبر الطاولة ، ويصرخ فجأة » : ساعدني ، يا جلم ! ساعدني !
« يندفع الأول بسرعة لمساعدة الثاني ومع بعضهما يضعان قطعة السكر عند اسفل الكوب . وبصمت يعودان الى القطعة الثانية » .

الثاني : هذه أصغر قليلا . اعتقد أن باستطاعتي تدبير أمرها .

الأول : « مسّلما » حسن ، أنا سأتطوع ...

« بصعوبة يرفعان القطعة الثانية ، يحملانها الى كوب الشاى ويضعانها فوق القطعة الاولى » .

الثاني : « معتليا قطعتي السكر » : آخ ! لقد تعبت ... دعنا نرتاح . ليأخذ الشيطان الانجليز ! لم يستخدمون مثل هذه القطع الهائلة من السكر ؟ انّ واحدة منها لتكفي عشرات الناس العاديين . قطعة واحدة فقط . وكم من الأشياء اللذيذة يمكنك أن تصنع بها ! توت برّى محلّى ، مثلا ، تقدمه للفتيات .

الأول : لسن أهلا لذلك .

الثاني : انهن ببساطه يبددن السكر ، ويصنعن تلك الكعكاتَ البائسة ويغمرنها بالقشدة ولكن عندما يختص الأمر بصنع قليل من الحلوى الرخيصة ، اللذيذة ، العادية ..

الأول : هن فقط ليسن أهلا لذلك .

الثاني : أنك لا تستطيع انكار التطور الكبير فى البلد .

الأول : بالطبع ، لا تستطيع .

الثاني : كل الشوارع ملساء مستوية . والبيوت جميلة ، والعربات ....

الأول : بالطبع .

الثاني : وهن مندفعات قدما فى رحاب العلم . ولكنْ هناك الكثير من الأشياء ما زالت بعيدة عن متناولهن .

الأول : بالطبع . هن كذلك .

الثاني : التوت البّرى المحلّى ، مثلا .

الأول : لسن أهلا له .

الثاني : أو خذ مثالا آخرا . تذكّر معي ؟ ماذا كنا نسميها هناك ؟ ماذا كنا نسميها ... أنت تعرف . أفّ ، لقد نسيت . « يفكر » لكن على العموم ، أنا أحبها جدا .

الأول : « متحسرا » : انى أحب هذا المكان !

الثاني : لا تكذب !

الأول : « بحزم » انني أحب هذا المكان .

الثاني : ها أنت تكذب ثانية ! « غاضبا » ما الذى تحبه هنا ؟ ! النوم على طرف الاريكة ؟ أم سرقة الشاى من كوب سيدك ؟

الأول : كفّ عن هذا !

الثاني : أم التطواف بين المنازل الهائلة وأنت مروّع من أن تداس بحافر أو حذاء ؟

الأول : كفّ أرجوك .

الثاني : أتعلم كيف يدفنوننا هنا ؟

الأول : كفّ عن هذا !

الثاني : فى علبة ثقاب ! كل ثلاثة معا – فى علبة ثقاب واحدة !

الأول : « صارخا » كفّ عن هذا قلت لك ! ! ! « يهجم على الثاني » « شجار قصير »

الثاني : دعني . دعني ، أقول لك ! « يفلته » ولا تتجاسر على المجئ الى غرفتنا ما لم يدعك أحد بالتحديد !
« يتسلق قطعة السكر محاولا الوصول الى حافة الكوب ولكنه يخفق » ألا يوجد شيء آخر للوقوف عليه ؟

الأول : قطعة كعك فقط .

الثاني : هراء ! انها لزجة جدا . « يهبط قفزا الى الطاولة » هيا بنا . سنحاول أن نغلي بعض الماء فى الطابق السفلي .
« ينظر غاضبا الى كوب الشاى » قدر مجوّف ! أولاد زنا فاسدون !
« يهز قبته للكوب » .

الأول : انتظر ! جائتني فكرة ! لقد فكرت كيف يمكننا أن نغرف بعض الشاى .

الثاني : حسن ؟

الأول : على أحدنا أن يعتلي أكتاف الآخر .

الثاني : ألديك مزيد من هذه الافكار النيّره ؟

الأول : بالطبع . انه شيء بسيط جدا ، أحدنا يتسلق هنا ، والآخر يتسلق على كتفيه ، وهذا كل ما فى الأمر !

الثاني : هراء ! ثم انني لا أرغب فى أن يعتلي أحد ظهرى .

الأول : ليس لدى مانع من أن أكون أنا الشخص الذى يقف بالاسفل .

الثاني : تريد أن تقتلني بسخائك . أليس كذلك ؟

الأول : لا ، لا أريد ذلك . ولكنها أفضل طريقة . وبما أنني أطول منك ، فسيكون من الأفضل أن تكون ....

الثاني : « مقاطعا » ماذا ؟

الأول : قلت أنا أطول منك ، لذا .....

الثاني : من أطول ؟ أنت ؟

الأول : دعك من هذا ، يا ريلب . ألم نتجادل فى ذلك بما يكفي ؟

الثاني : لا أفهمك .

الأول : قلت ، ألم نتجادل كفاية .... لقد كان من المسلم به دوما أنني أطول منك . أتذكر ، فى الجيش كنت القدوة اليمنى للاصطفاف بينما كنت أنت بعيدا فى آخر الصف . كما كنت دوما بين أول زوجين مختارين فى أية حفله .

الثاني : هذا لا يعني شيئا . فذلك كان منذ زمن بعيد .

الأول : وماذا فى ذلك ، ان الناس لا يزدادون طولا بعد بسن العشرين .

الثاني : لقد حدث هذا لي .

الأول : حسن اذن . لم نتجادل . فلنقس طولينا .

الثاني : لا نستطيع أن نفعل ذلك وحدنا . لا بد من وجود أحد ما ليحكم . فلنمض الى بتي .

الأول : ولم نقحم بتي فى هذا الأمر ؟ سنقف ظهرا لظهر وينتهي الأمر.

« يقترب الثاني من الأول كارها . يقفان ظهرا لظهر . فيبدو الأول أطول » حسن . أما قلت لك ؟

الثاني : لا يمكنني أن استوعب هذا ... أى حذاء تنتعل فى قدميك ؟

الأول : من ذات النوع الذى تنتعله .

الثاني : وماذا عن شعرك ؟ انه منفوش . بينما شعرى أملس .

الأول : ايه . دعك من هذا . يا ريلب ! فعلنا ذلك عشرات المرات وأنت على الدوام تتلمس الأعذار .

الثاني : قل ما تشاء . سأقف من تحت .

الأول : لا يجوز ذلك . يا ريلب .

الثاني : سأقف من تحت لانني أقوى .

الأول : حسن . قف حيث تحب . ولكن لا تنسى . سأدوس عليك .

الثاني : « ساخرا » : وما الذى أرجوه منك أفضل من هذا ؟ « يتسلق السكر » أعطني الشوكة .

الأول : « فزعا » لماذا ؟

الثاني : للاستناد عليها . ماذا يمكن ان يكون السبب ؟ !

« الأول يعطي الشوكة للثاني »

« متكئا على الشوكة » والآن . اصعد !

الأول : « بخوف » : هل أنت واثق من أنك لن تسقطني . يا ريلب ؟

الثاني : لست واثقا . سنرى .

الأول : لا تغضب . يا ريلب . كونك تحت لا يقلّل من شأنك . بل على العكس ! ان ذلك يظهركم أنت نبيل . فأنت تعاني

اكراما لزوجتك المريضة . اكراما لجميلتنا بتي . ذلك نبيل جدا ! وبما أنك أخذت على عاتقك الوقوف تحت ، فلا بد أنك قويّ . أقوى الجميع . في فرقة السيرك الأقوى يقف تحت دائما ......

الثاني : آه ، دعك من هذا !

الأول : لست أطول منك ، أنا أنحف . هل تذكر ، فى المدرسة اعتادوا أن يسموني « النحيف » .

الثاني : فى المدرسة اعتادوا أن يسمونك « الدودة » .

الأول : لقد عنوا بذلك انني نحيف مثل الدودة .

الثاني : آه ، لا ، لم يعنوا ذلك . لقد عنوا أن الواحد لايستطيع تفريق رأسك عن ... « يضحك »

الأول : أخيرا ! اخيرا استعدت حس الدعابة لديك . بالنسبة لنا حس الدعابة هو الشيء الأساسي الذى جلبناه معنا من هناك ، يا ريلب . أليس كذلك؟ فهم لا يستطيعون أن يمزحوا مثلنا أليس كذلك ؟

الثاني : ليسوا أهلا لذلك .

الأول : « يربت بيديه على كتني الثاني » : حسن ، هل أصعد ؟

الثاني : « محنيا ظهره » : حظ سعيد فى رحلتك !

« الأول يتسلق كتفيّ الثاني ومن هناك يسحب جسمه الى حافة الكوب »

الأول : أف ، انه ساخن ! كما لوكنت فى حمام ... « يميل الى الأمام » اللعنة !

الثاني : ما الأمر ؟

الأول : الكوب فارغ حتى المنتصف . لا أستطيع أن أصل الى الشاى. سأحاول بهذه الطريقة .. « ينزع حزامه ، يربطه الى القارورة ويدليها الى الكوب » الآن أستطيع غرف بعض

الشاى . « يحدق الى البعيد » أيّ منظر هناك تراه من هنا ، يا ريلب !

الثاني : منظر ! أى نوع من المناظر ؟

الأول : رائع ! تستطيع أن ترى على طول حافة نضد المائدة ، يا ريلب . وهو مليء بالأقداح المزخرفة . وها هي أشعة القمر ساقطة عليها ، انها تتوهج بالالوان القزحية ... جميلة جدا ! كم أتألم لانك لا تستطيع رؤيتها ... انها جميلة الى حدّ الجنون ، يا ريلب . مثل عروض الألعاب النارية . أتذكر تلك الالعاب النارية التي كنا نعرضها عشية السنة الجديده ؟ هل تريدني أن أساعدك لتصعد ؟

الثاني : ألديك مزيد من هذه الأفكار النيّره ؟

الأول : وعندما تتعافى بتي . سوف نتسلق ثلاثتنا نضد المائدة . فهي تحب الالعاب النارية .....

« فترة صمت . يجلس الأول صامتا لبرهة من الوقت ، وهو يحدق باتجاه نضد المائدة ، بينما يسير الأول ذهابا وايابا عند قاعدة الكوب » .

الثاني : جلم ، هل لي بسؤال ؟

الأول : بالطبع .

الثاني : هل أنت مغرم جدا بزوجتي ؟

« فترة من الصمت » لم لا تجيب ؟

الأول : أفكر ماذا أقول ... ان قلت احبها كثيرا ، سوف اجرح مشاعرك ..... وان قلت قليلا سيكون فى ذلك اهانة لبتي . لذا لن أجيبك على سؤالك ، يا ريلب .

الثاني : حسن اذن . سنيسأل السؤال بطريقة مختلفة . هل تحب أن تنام مع زوجتي ؟

الأول : لا .

الثاني : لم لا ؟

الأول : أنا أقدرك كثيرا ، يا ريلب .

الثاني : وهل هذا هو السبب الوحيد ؟

الأول : كما أنني أحب بتي الى حد كبير هذا يمنعني من السماح لأى شخص أن يتحدث عنها بمثل هذا ! «بعد فترة صمت» أنا آسف.

الثاني : لا ، أنت على صواب تماما ... وليس هناك ما يغضبنى . لقد اخبرتني الحقيقة . والحقيقة لا تزعجني أبدا . عندما كذبت عليّ منذ لحظة بخصوص المجئ الى هنا لشرب الشاى ، كان ذلك مثيرا للاشمئزاز . ولكني لا أغضب ابدا لدى سماع الحقيقة ....
« فترة صمت »

الأول : سأرحل فى الحال ، يا ريلب .

الثاني : والى أين تذهب ؟

الأول : لم أحسم الأمر بعد . سوف أمضي الى بلد آخر .

الثاني : لماذا ؟

الأول : لا بد من وضع حد لهذا . نحن لا نفعل سوى جعل الحياة لا تطاق بضلالنا فى الحديث سوية . حان الوقت لفصم هذا المثلث الأحمق . سوف أتركك وأرحل .

الثاني : لن تستطيع البقاء حيا وأنت وحيد .

الأول : سأجد لنفسي عملا ما . فعلى الرغم من كل شيء أنا عازف بيانو . وعازف بيانو جيد .

الثاني : كفّ عن هذا الهراء . هل رأيت الآلات الموسيقية التي عندهم

هنا ؟ كل مفتاح مثل زند الخشب . كيف تتوقع أن تعزف على مثل هذا البيانو ؟ !

الأول : بأقدامي . يا ريلب ! لقد فكرت بكل ذلك . اذا ركضت من مفتاح الى آخر بالسرعة الكافية . ستكون النتائج حسنة تماما . كما أن لدى العميد بيانو قيثارى . وقد تمرنت من جديد ... انك لن تعزف شيئا عظيما . بالطبع . ولكن الالحان الشعبية ليست سيئة الى هذا الحد .

الثاني : دعك من هذا ! أنت موسيقي عظيم . ولا يمكنك أن تنزل الى مستوى هراء السيرك هكذا .

الأول : هل من أحد هنا يعرف أنني موسيقي عظيم ؟

الثاني : أنا أعرف . وبتي كذلك ...

الأول : ولذلك سأرحل .

الثاني : توقف عن التحدث بما لا تفهمه ! انه لمخز أن تحجل من مفتاح الى آخر . مثل البرغوث . انت كائن بشرى . ويجب أن تصون كرامتك الانسانية . أنت صديقي . وتحب زوجتي . وفوق كل شيء . نحن أتينا من هناك . ثلاثة أشخاص أسوياء في هذا البلد الجهنمي الهائل . يجب ان نخلص لبعضنا البعض . فلا ترحل عنا . يا جلم .

الأول : بالطبع . لا يمكنني أن أرحل . يا ريلب . انها مجرد ... مجرد فكرة حمقاء .

الثاني : وتعال الينا .

الأول : شكرا .

الثاني : متى تشاء . حتى لو لم يدعك أحد بالتحديد .

الأول : شكرا . يا ريلب . أنت لطيف جدا .

« فترة صمت »

الثاني : « فجأة يلاحظ حذاء الأول » : ما هذا الذى تنتعله ؟

الأول : « محدقا فى نضد المائدة » : يا له من تلاعب رائع بالأضواء .

الثاني : سألتك ما الذى تنتعله ؟ « يشير الى حذائه »

الأول : ماالأمر ؟

الثاني : ما هذا الذى فى حذائك ؟ فى الداخل ؟

الأول : « مرتبكا قليلا » : لا أفهم لماذا تستفزني .

الثاني : ابن زنا فاسد ! جوارب ! جوارب فليّن هائله ! وكعبين زائغتين ؟ أيها الوغد الحقير !

الأول : بأى حق تهينني ؟

الثاني : أنت أفعى غادرة ! وقفت بثقة ظهرا لظهر ، بينما هو ....

الأول : لقد أعطيتك الفرصة لتكون فوق ، ولكنك رفضت ....

الثاني : منذ متى وهذه الجوارب فى حذائك ؟

الأول : ليس شغلك .

الثاني : « مهتاجا » اذن أنت ترتديه منذ مدة طويلة . أيها المحتال ! هكذا اذا كنت تغشني فى كل مناقشاتنا . كنت غشاشا فى الجيش ، عندما كنت القدوة اليمنى وأنا المؤخرة ... وفى الحفلات عندما كنت أول من يدخل حلبة الرقص لأنك الأطول ... وأمام بتي !

الأول : لا تثر هكذا .

الثاني : لست صديقي ، يا جلم ! لقد خنتني . وخدعت زوجتي . لقد رأيت كيف تألقت عينا تلك المرأة الطاهرة عندما نظرت اليك ... كانت تقول لي ، « انظر ، يا ريلب . صديقنا جلم يزداد طولا يوما بعد يوم . لا بد أن ذلك بسبب تمارينه القاسية جدا» لو أنها عرفت فقط ...

الأول : هي تعرف .

الثـاني : ماذا ؟

الأول : هي تعرف ! لانها رأتني دون حذائي ، دون أى شيء عليّ !

الثـاني : « بهدوء » احفظ لسانك !

الأول : لماذا ؟ انها الحقيقة . والحقيقة تغضبك . اذن أصغ ! أنا وبتي نحب بعضنا منذ زمن بعيد . وأنا أذهب الى غرفتك لانها تطلب مني ذلك – مني أنا ، بالذات !

الثـاني : اخرس !

الأول : كنت على الدوام أطول منك ، يا ريلب ! المسألة ليست مسألة حذاء ... بل مسألة أنني فوق وحسب . كما أنا الآن . لقد بلغت حافة الكوب وأتمتع بمراقبة قوس قزح على نضد المائدة ، بينما أنت ، كالعادة ، فى المؤخرة متخلفا ، أو متواريا تحت فى الأسفل .

الثـاني : سأقتلك ، يا جلم .

الأول : عندما تمسك بي أولا ، أيها القزم .

الثـاني : ماذا ؟

الأول : أجل ، هذا ما ندعوك به أنا وبتي .

الثـاني : لماذا ، سوف ... « يمسك بالشوكة ويهجم على الكوب »

الأول : « واقفا على حافة الكوب » لا تستطيع ان تطالنى ! يركض حول الحافة » ليليبتاني صغير بائس ! « فجأة ينزلق » ريلب ! النجدة . أنا أسقط .. ريلب ! « يسقط فى الكوب »

الثـاني : جلم ! ما الذى حدث ؟ « يركض يائسا حول الكوب » جلم ! اجبني ! لا تتركني ، يا جلم ! « يضرب بقبضتيه على جدار الكوب » النجدة ! النجدة ! ساعدونا !

« شخص ما يطفيء المصباح . خشبة المسرح فى ظلام تام . من ثم يظهر الضوء تدريجيا . فانيسا وباتريك يقفان فى المدخل . يشاهدان سويفت مطرقا بصمت وحزن الى كوب الشاى ... الطبيب جالس على بعد . ومن الواضح أنه عاجز عن فهم ما يحدث » .

فانيسا : أيها العميد . أودّ أن أقدم لك الطبيب سيمسون .

الطبيب : « مسرورا » : لقد التقينا سابقا . قابلت العميد بينما كان خارجا يتمشى ، لكنه لم يشأ أن يكلمني . ومع ذلك ، لاتكترث ... سوف نكون أصدقاء ، أليس كذلك ، أيها العميد ؟ جميع الأعضاء فى مجلس الأوصياء يأملون أننا سنكون على ما يرام وأننا سنحقق شفاءً كاملا بجهودنا المشتركة . أتسمعني يا سيدى ؟ ما الأمر ؟ ان الدموع تترقرق فى عينيك .

باتريك : لا بد أن الشاى بارد ، وذلك ما أغضب العميد .

الطبيب : حقا ؟ هذه الترّهة ... « يتجه الى سويفت وينظر فى الكوب » شيء ما سقط فى الكوب ... لا بد أنها ذبابة ، يا سيدى ! ليس فى هذا ما يدعو لغضبك . « يحاول أن يأخذ الكوب ولكن سويفت يمنعه » دعني . لا أحب أن لا يطيعني مرضاى . دعني ! « يأخذ الكوب بقوه من بين يدى سويفت وينفض الذبابة بأصابعه بعيدا . » ها كل شيء حسن الآن . وعميدنا سيكون فى مزاج طيب من جديد . اليس كذلك ؟ « يعيد الكوب الى سويفت »

« سويفت يتأمل الطبيب للحظة ، ومن ثم يرفع الكوب عامدا ويرش الشاى فى وجهه » .

(٣) - تاريخ حالة المريض

« اليوم التالى . الغرفة ذاتها في منزل سويفت . الطبيب يكمل فحص سويفت . تساعده فانيسا . الخادم باتريك يقف على بعد . يمكن رؤية ضيوف العميد يتمشون في الخارج . ممثل مسرحى متجول يرتدى زىّ المهرج يغني »

الطبيب : « بغضب » : اسحب الستائر ، ياباتريك . وقل لهذا المتشرد أن يكف عن انشاده التافه .

فانيسا : انها لشكسبير ، أيها الطبيب . من مسرحية « الملك لير » .

الطبيب : لا أعرف شيئا عن ذلك . نحن في عهد الملك جورج . لذا دعينا نواصل ما بأيدينا . افعل ما قلته لك ، ياباتريك !

باتريك : « بلهجة الرضا » : حسن جدا ، أيها الطبيب . « يخرج »

الطبيب : « واضعا اذنه على صدر العميد » أجل ... خذ نفسا ... جيد !
يمكنك أن ترتدى ملابسك . « يمضي الى المكتب حيث أوراقه . ويجلس »
« فانيسا تساعد سويفت في ارتداء ملابسه »
والآن لنكتب تاريخ الحالة المرضيه . ساعديني ، أيتها الممرضة . ما اسمه ؟

فانيسا : جوناثان سويفت .

الطبيب : « يكتب » : بالـ « ف » ؟

فانيسا : ماذا ؟

الطبيب : قلت هل « سويفت » تهجّي بالـ « ف » ؟

فانيسا : « بارتباك خفيف » : بالطبع ، أيها الطبيب .

الطبيب : سنة الميلاد ؟

فانيسا : ١٦٦٧ .

الطبيب : المهنة ؟

فانيسا : رجل دين . فيلسوف . كاتب .

الطبيب : « يكتب » « ... كاتب » وهل يجد عميدنا متسعا من الوقت للكتابة أيضا ؟
هذا مثير .

فانيسا : هل تمزح ، ياسيدى ؟

الطبيب : أنا لا أمزح اطلاقا ، أيتها الممرضة . وخاصة أثناء العمل .

فانيسا : ألم تقرأ أيا من كتب سويفت ؟ !

الطبيب : أنا لا أقرأ الادب القصصي وما شابه . فليس لدى الوقت حتى لقراءة ماكتب فى ميدان تخصصى .
« لا تتبدل ملامح سويفت »

فانيسا : ألم تسمع أبدا بكراساته ؟ « الدكتوريهز كتفيه ، بلا مبالاة » أو كتابه المشهور « رحلات جالفر » ؟

الطبيب : جاليفر ؟ لحظة ... أظن أننى سمعت به . عن رجل سمين جدا ، ويأكل بنهم ...

فانيسا : « بطريقة جافة » : هذا « غارغنتيا » ، ياسيدى . لرابليه . جاليفر مختلف تماما .

الطبيب : « لامباليا » : اذن فأنا لا اذكر ....

فانيسا : اعذرنى ، أيها الطبيب ، ولكن لا أعتقد ان بامكانك انقاذ العميد . علاج فنان بدون معرفة أعماله ....! !
لسوف ألجأ الى مجلس الأوصياء كى يرسلوا طبيبا آخر .

الطبيب : لك الخيار فى فعل ذلك ، ان اردت ، يافانيسا . ولكن أخشى أن المجلس سوف يجد من الأسهل استبدال الممرضة .
« على نحو مفاجىء » لحظة ! تذكرت الآن .... جاليفر — انه كتاب للأطفال .....

فانيسا : لقد كتب للكبار .

الطبيب : غريب ... سمعت المربية تقرأه لبعض الأطفال الصغار ... عن ذاك الطبيب ، الذى يجد نفسه فى أرض الليليبتانيين ، ومن ثم فى أرض المردة ، وبعد ذلك فى بعض الاماكن الاخرى ...

فانيسا : «بغيظ» : ليست مجرد بعض الاماكن – انها لابوتا ، وبالنيباربى ، ولجناج ، وغلبدبريب . وأخيرا فى بلاد الهونيوهنز

الطبيب : ياالهى ! يالها من أسماء ! عن اى شيء كل هذا ؟

فانيسا : «باسلوب لاذع» : انه كتاب جاد جدا ، ياسيدى . لا أتجاسر على روايته بتعابير مبتذلة ، وخاصة فى حضور مؤلفه . «تأخذ الكتاب عن الرف» من الأفضل بكثير أن تقرأه . «تضع الكتاب أمام الطبيب وتخرج برفقة سويفت» «الطبيب يفتح الكتاب ويقلب صفحاته ، ومن ثم يطبقه بلا مبالاة . تظهر استير جونسون عند النافذة»

استير : أيها الطبيب ، أرجوك ، لا تغضب من فانيسا . ان سلوكها ليس حسنا ، ولكنها تحب العميد .

الطبيب : وهل أنت سعيدة أم آسفه لذلك ؟

استير : لايهم . انها تساعد العميد فى عمله . وهى تتدبر أمر مراسلاته الغزيرة .

الطبيب : من الغريب أنك أنت .... نعم ، انت .... تلتمسين مصلحتها !

استير : أنا أعذرها . على الرغم من كل شيء ... فهى مجنونة .

الطبيب : من ؟ الممرضة فانيسا ؟

استير : أجل ، ياسيدى ... «تبتسم» أتدرى ، منذ سنوات عديدة ،

عديدة مضت عرف العميد فتاة تدعى فانيسا. وأهدى لها قصيدة. وهكذا عزمت فانيسا المرضة على أن تكون فانيسا القصيدة. «بحقد مفاجئ» يا للبائسة!
كم هي حمقاء لتصدّق ما فى الشعر... عندما كان العميد بصحته كان بمقدوره تمجيد حتى المقشة من خلال شعره!
لا، أيها الطبيب! لقد أحبّ امرأة اخرى طوال عمره! كتب لها الرسائل. في كل يوم! اكثر من ألف رسالة محفوظة باقية.

الطبيب : آمل أن اسمها لم يكن مطابقا لاسمك؟

استير : «تبدو غير مدركه لتهكمه» : كان يدعوها ستيلا. وهذا الاسم من ابتكاره أيضا. آه، كان عميدنا مبدعا عظيما.

الطبيب : «برما» : ومن تزوج، عميدك؟

استير : لم يتزوج أبدا، أيها الطبيب. كان هناك امرأتان في حياته ولم يكن ليسمح لنفسه بجرح مشاعر أى منهما.

الطبيب : وهل توفيتا كلتاهما؟

استير : أجل.

الطبيب : في الوقت ذاته؟

استير : لم تسأل هكذا؟

الطبيب : والا كان بامكانه الزواج من تلك التي بقيت حية.

استير : «تنظر الى الطبيب بانتباه» : اعذرني، ياسيدى، ولكن هل أنت من نوتنغهامشير؟

الطبيب : أجل، لماذا؟

استير : هذا ما خمنته... اقرأ الكتاب، ياسيدى... ربما ستفهم عندها أن لهذا المنزل حكاية خاصة مع الموت– هنا الجميع يموتون ومع ذلك لا أحد يموت....

« يظهر باتريك ويعبر بخطى واسعة متجها الى النافذة يسحب الستائر»

باتريك : لا تعطّلي الطبيب . ياآنسة جونسون . إمضي الى الحديقة .

« تتراجع استير عن النافذة »

« باتريك يتجه الى نافذة أخرى ولكنه يتعثر ببعض العوائق اللامرئية . للطبيب »

هؤلاء الليليبتانيون ثانية ! هش !

الطبيب : « يقترب من باتريك فجأة ويصرخ » : كفّ عن لعب دور الأحمق ! ايّ ليليبتانيين؟ من أين ؟ أم عساك حلمت بهم في الكابوس ؟

باتريك : وهل حلمت أنت بهم . ياسيدى ؟

الطبيب : ليست هذه هى المشكلة .

باتريك : اثنان منهم ؟ قرب كوب شاى . هه؟ احدهم عازف بيانو . الآخر متزوج ... الأول ذو الجوارب في حذائه كان الأطول ... أليس كذلك ؟

الطبيب : « بعد تفكير قصير » : لا . الذى لا ينتعل الجوارب كان الأطول ...

باتريك : « متهللا » : انظر أى كابوس راينا كلانا . في هذا المنزل الجميع يرون الأحلام ذاتها ... وكلها صادرة عن العميد سويفت ! انه تأثيره الرهيب .

الطبيب : ولكنه لا ينبس ببنت شفه .

باتريك : احترس . ياسيدى ! هذا الرجل يلقى مواعظه صامتا . حتى على المنبر .

«ينظر حوله ويخفض صوته هامسا» أحيانا يظهر أمام رعاياه ... ولا ينطق اطلاقا . وهم أيضا لا ينطقون ... وهذا

كل ما فى الأمر! ولكن لسبب ما سرعان ما يظهر الايرلنديون كراهيتهم للوزير الأول ويجدون أن فقرهم لا يطاق.

«قرع شديد على الباب»

هاهو ... من فضلك ... هذا مثال على تأثيره المشؤوم. ياللمارد المجنون سوف يطلب من جديد مقابلة السيد لانسيلوت! «يفتح الباب»

« الحذاء الهائل على الباب »

سيد جلم ، لقد طلبت منك أن لا تأتي . ماذا؟ «يميل برأسه الى الخلف»
لا أسمعك ... أى فارس ؟ وأين يمكن لي أن أجد لك فارسا؟

الطبيب : من هذا الرجل على طوالتين ؟

باتريك : على طوالتين ؟ «بدهشة حقيقية» أتعتقد أنهما ليستا قدمين حقيقيتين ؟ أى وغد هو اذن ؟ دعنا نختبرهما الآن ... «يرفس احدى القدمين» هيه أنت ياسيد هناك ! انزل ! «يرفس ثانية»
من الافضل أن أجرب الماء المغلى !

الطبيب : توقف عن هذا ، ياباتريك !

باتريك : لا ، أيها الطبيب ، أريد أن أعرف الحقيقة ! حتى الخدم لديهم طاقة للتحمل ....

الطبيب : حسن . سنعرف الحقيقة بطريقة أخرى «يتجه الى مجموعة الاسلحة المعلقة على الجدار ويتناول الخوذة والسيف» اصعد الدرج يا باتريك ، وأخبر هذا المارد أن السيد لانسيلوت قد وصل ، هل تفهم ؟ وصل وهو جاهز للمبارزة .

باتريك : «مبتهجا» : بالطبع ، ياسيدى ! آه ، أحس أنك سوف

ترتب أمور هذا المنزل ! «يحضر بوقا» أتسمح لى باطلاق اشارة التحدى ؟

الطبيب : هذا ليس ضروريا ..

باتريك : بل ضرورى ! يجب أن يتم كل شىء حسب أصول المبارزة الحقيقية ! «يبوق مبتهجا ، ويخطو الى الباب بطريقة عسكرية . لحظة أو اثنتين ويسمع صوته من مكان عال جدا «أيها المارد جلم ! الفارس الشجاع السيد لانسيلوت ، يقبل تحديك !

(٤) – معركـة مـع المـارد

« يفتح الباب ويدخل الى الغرفة رجل يميل الى السمنه ذوقامة متوسطة وعيون حزينة . انه جلم . يرافقه باتريك »

باتريـك : أيها السيدان . اسمحا لى أن أقدمكما . السيد جلم . المارد . « يشير الى الطبيب » السيد لانسيلوت .

جـلم : أيها الفارس المقدام ، أسعدني قبولك للتحدى ! وأنا واثق من أن مبارزتنا ستجرى حسب الأصول والقواعد المتبعة ، كما ستكون حامية عنيدة .

الطـبيب : « يلقي السيف جانبا » : أنا لا أحب النكات السمجة ، ياسيد جلام . لقد أتيت الى هنا لأقارع ماردا . ولست سوى رجل متوسط القامة . لاتزيد على ستة أقـدام ....

جـلم : خمسة أقدام وثمانية بوصات . ومع ذلك ، ياسيدى ، أنا مارد بالفعل . ومن نوع حقيقي تماما . أعلم أن من الصعب تصديق هذا ، ولكن الأمر كذلك حقا . اذ أنني تضاءلت .

الطـبيب : وكيف جرى لك ذلك ؟

جلم : ان كنت ترغب فسوف اخبرك .

الطبيب : أجل أرغب ، ولكن أوجز.

جلم : « بحزن » حسن جدا .

الطبيب : اجلس الى الطاولة « للخادم » وأنت يا باتريك ، اسحب الستائر، لانريد أن يتفرج علينا الآخرون ..
« يسحب باتريك الستائر .. ، بينما يبدى المراقبون المحملقون من النافذة استياء واضحا »

جلم : « مداهنا » : هل أثقل لو قدحا من الخمر؟
« باتريك ينظر متسائلا الى الطبيب ، الذى يومئ برأسه موافقا . يذهب باتريك لجلب الخمر وهو يدمدم لنفسه »

الطبيب : « متملّيا جلم » : اتعاقر الخمر منذ زمن طويل؟

جلم : أجل . ولكني لست مدمنا ، انه دواء ... المهم ، دعني أعود الى البداية .. حسنا ، ياسيد لانسيلوت ، أنا مارد بالفعل . على الرغم من استحالة تصديق ذلك نظرا لما أبدو عليه اليوم . والدى جلم الأكبر كان شيئا آخر . كان طوله مائتي قدم ، أطول من كاثدرائية دبلن . ولقد بدا وضعه كمن يتأله على البشر، فقرر الأسقف أن على والدى أن ينثني بشكل مضاعف ، وهكذا قضى بقية عمره ، المسكين . كما لو كان يعاني من مرض عصبي فى اسفل ظهره . وكان وطن والدى الأصلي بلاد البروبد نجاج . انها بلاد المردة التي وصفها سويفت ، لابد أنك قرأت عنها بالطبع ؟

الطبيب : أظن ذلك ، أكمل .

جلم : وصل والدى شواطئ بريطانيا بعد غرق سفينته . وكانت حياته هنا قصيرة ومليئة بالعناء . في البداية مثّل في السيرك

دور الوحش غريب الشكل . ولكن فيما بعد خبت البدعة وتخلوا عن الوالد وتركوه لنزوات القدر... واذا ازداد حنينه لوطنه التمس السماح له بالعودة الى بروبد نجاح . ولكن ما من أحد استطاع أن يوفّر له سفينتة ... فراح يقوم بأعمال متفرقة كأن يحمل صخور الجبال . أو ينظف مداخن الابنية العالية . كما عمل في آخر سنواته كمنارة في الميناء . وكان يمضي لياليه واقفا على رصيف الميناء حاملا مصباحا مضاء .

وهكذا لقى حتفه . أثناء عاصفة رعدية مرعبة .
البرق . ياسيدى . ينجذب الى الأشياء الأطول...
اللعنة . أين باتريك ؟

كم من الوقت يحتاج احضار قدح من الخمر؟

« يظهر باتريك ومعه صينية »

باتريك : لا حاجة للصراخ ، ياسيد ! لست فى حانة ان كنت قد جئت لخوض مبارزة ، فكن مهذبا كالسادة .

جلم : آه ، أجل ، اعذرنى ! « يعب الخمر فى جرعة واحدة ويتابع حكايته » حسن ، كنت أحدثك عن والدى . قبل موته بفترة قصيرة تزوج امرأة انكليزية طويلة جدا . والمهم أن ثمرة هذا الزواج الغريب هى أنا ، جلم الأصغر ، نصف مارد ، ونصف رجل انكيزى ، ومخلوق بائس جدا . وكان من سوء حظى أيضا أن أبوى منحانى ، بالأضافة الى ضخامة الجسم ، دماغا هائلا ، جعلنى أنمو بسرعة فظيعة . فقد بدأت بالنطق وعمرى خمسة أيام فقط ، وبلغات عديدة . ثم تعلمت القراءة والكتابة والحساب وأنا فى المهد . وقد انتهيت من المدرسة الثانوية

فى ثلاثة ايام ، ومن الجامعة فى شهر. بعد سنة أصبحت معلم نفسى ، ومن ثم صرت أضاهى فى مهارتى أى عضو فى الجمعية الملكية .... وفى البداية امتلأ مواطنى اعجابا بى ، ولكن فيما بعد بدأ الأمر يضايقهم.

فهذا الطفل الناضج عقليا قبل الأوان جرح وقار الحكماء المخضرمين ولكني اقتحمت العلم أعمق فأعمق ، مكتشفا قوانين وحقائق ، وفي الحال اكتشفت الحاجه لوضع قوانين جديدة وارساء حقائق جديدة... ولذلك «كلما تعمقت معرفتك ، تعمق حزنك...» اضافة الى أنني بدأت ارتفع مثل ساق الفاصيولياء ، قدم بعد قدم فوق ارتفاع مواطنّي. وسرعان ما امتلكت اطلالة عين الطائر على بلدى. ورأيت كم هي جميلة ، وكم هي رائعة المنظر الهضاب والجبال ، ولكني رأيتها أيضا تتعرض للدمار، والغابات تتعرض للحرائق ، والمدينة قائمة دونما تخطيط أو منطق ، ورأيت كيف يقتل الناس بعضهم بعضا من أجل قطعة أرض ضئيله. كل شيء في المارد مفرط ، ياسيدى– البصر ، السمع ، الضمير. وبالتالي كل طلقة تردد صداها في أذني ، وكل وفاة مزقت قلبي... ولذا قررت أن أجعل بلدى بلدا سعيدا. وبدا لى أنني أعرف السبيل لاصلاح الجميع ، وأنني ادرك معنى الوجود... فذهبت الى الملك. فرفض أن يستقبلني... ياسيدى ، قل لباتريك أن يحضر قدحا آخر. فلقد وصلنا الى أشد اللحظات أسـى.

باتريـك : سيشرب اكثر من اللازم ، ياسيدى !

الطـبيب : أحضر القدح ، يا باتريـك.

« قرع على النوافـذ »

باتريـلك : « يزيح الستارة مستهجنا » اهدأوا ! اضبطوا أنفسكم !
سوف يبدآن حالا !
أقول لكم كونوا مهذبين . انهما يتهيآن للمبارزة ...
« يسحب الستارة ويمضي مدمدما »

جـلم : الملك لم يرفض أن يستقبلنى ! قال انه لايستطيع الاصغاء لنصيحة من يخاطبه من عل . قلت انني مستعد لأطأطئ رأسي عند قدميه . ولكن الملك قال أن النصيحة من تحت لاتفيده بالمثل . أضاف قائلا أن من المؤكد وجود فارس جسور فى بريطانيا ، يكون كفيلا بتلقين هذا المغرور درسا . وهكذا أعلن الحرب علّى ! فزحف نحو خمسة عشر فارسا ضد المارد . وقد كان بمستطاعى أن اذيقهم طعم الموت بضربة واحدة ، ولكنهم عشيرتى . وعندها تأكدت أن الرجل القوى يجب أن يكون شهما ! وكنت مستعدا للموت ، لو كان ذلك يجعل بلدى فى حال أفضل ... ودخلت حلبة الصراع مع الفرسان ! « ينهض ويسير فى الغرفة »

« الطبيب يتابعه بانتباه »

لم أحقق من النجاح مقدارا ولو ضئيلا ! فقد كان الفرسان مقاتلين عديمى النفع ! أسقطتهم جيادهم ، واخطأت سهامهم هدفها ، ورماحهم لم تخترق حتى سروالى ... فبعث اليّ الملك برسالة سرية تقول :

« توقف عن جلب العار على بريطانيا ! ارحل ولا تعد ابدا ! » ورددت عليه فى خطاب « ياصاحب الجلاله ، هذا بلدى ! أريد أن أكون خادما له ، لاتبعدنى عنه !

وسأفعل كل ما تأمويه ! » ورد الملك ، «اذن كف عن لعب دور الأحمق ولتصبح مثل أى فرد آخر ! »

« يدخل باتريك ويضع قدحا آخرا من الخمر أمام جلم »

باتريك : هذا هو القدح الأخير ، ياسيد ! فلا تطلب المزيد

« يتنحى جانبا ويصغى الى المحادثة »

جلم : « بيأس » وهكذا بدأت أتضاءل ! « يشرب الخمر » وكان هذا أسوأ أنواع العقاب . فكلنا يعلم كم هو من الصعب الصعود الى القمة ، ولكن النزول هو اسوأ دوما . لا تسألني كيف تضاءلت ، تمارين رياضية خاصة ، اتباع حمية ، التواءات وانحناءات متنوعة ... لقد هبطت ، وكأنما كنت اتبع طريق جبل منحدر خطوة خطوة ، وكلما مرت الايام أصبحت أقرب الى مستوى مواطني .... أما رأسي فكان اكبر مشكلة ، ولكن الكحول أنقذ الموقف . فجرعة كبيرة من الكحول ثلاث مرات يوميا تطرد فى الحال أية أفكار أو معرفة زائدة عن الحد فى السنة الأولى تدبرت أمر نسيان كل ماتعلمته كزميل فى الجمعية الملكية . وبعد ذلك كان الأمر . فخلال شهر نسيت ماتعلمته فى الحامعة . المدرسة الثانوية وتبخرت خلال اسبوع واحد . أما الفلسفة فكلفتني ثلاثة أيام كى تتبدد ، والتاريخ يوما واحدا . وبعد ذلك .... جاء دور تلك التى ... ماذا تسمى الأن ... آه ياعزيزى ... مهما يكن اسمها فلقد نسيتها بدون أية مشكلة على الأطلاق ، خلال ساعتين تقريبا .... وبمعنى آخر ، لقد حولت نفسى تدريجيا الى سيد عادى ذو قدرات عادية . استطعت أن التحق بوظيفة فى احدى المؤسسات ، وبدأت اعمل وأكسب عيشا

معقولا ، ثم تزوجت ، وبنيت لنفسى بيتا صغيرا ... بيت صغير رائع بحديقة ، ياسيدى . وعلى حين غرة ، شرع ذاك القس سويفت يدق النواقيس ويجمع المجانين من طول البلاد وعرضها. وفى البداية وجدت أنا الأمر لايعدو أن يكون باعثا على التسليه ، ومن ثم لعبت فى رأسى فكرة استرداد براعتى الفائقة القديمة . فكرت ، ماقولك ياجلم. ألا تود أن تعود هامتك الى ارتفاع السحب ؟ ليست بالمجازفة الكبيرة. انها فكره سوف أضحك ، وأعب هواء الطبقات العليا النقى ... فليحضر أحدكم شرابا !

باتريك : « بعنف » ألم أقل ! كل مرامه أن يتسول شرابا بالمجان.

الطبيب : أحضر بعضا من الخمر !

باتريك : ولكن ، ياسيدى ...

الطبيب : « متجهما » : ولي أيضا .

« يخرج باتريك مدمدما »

جلم : لقد شيّدت هذا الحذاء بنفسي ، فقد كان لا يزال لدى بعض القدره على التخيل وعندما ركبته ووجدت نفسي قرب الغيوم ، أتعلم ياسيد لانسيلوت ، شيء ما نشط في الحال هنا «يشير الى جبهته» لم يضع كل شيء. بدأت أتذكر الأشياء... جزءا بعد جزء... جزءا بعد جزء... الهواء عاليا هناك نقي جدا... بدأت الأفكار تعودّ الى خاطرى بسرعة... ومرة أخرى ، ياسيدى ، أردت أن أفعل شيئا ما من أجل بلادى. لا أستطيع أبدا أن أكون ماردا مرة أخرى في حياتي ، ربما بعد موتي ، ياسيدى؟ وهذا ما دفعني لأبعث بتحد للانسيلوت... وأنا جدّ ممتن لك اذا استجبت.

لقد سمعت أنك فارس مقدام وجسور، ياسيدى ، وان ترفض لقائى في قتال فردى؟ ولسوف يجلب انتصارك المجد لبلادك !

«الطبيب يتأمل جسلم بامعان . جسلم يستجيب بنظرة حزينة هادئة . يخفّ تحديق الطبيب»

الطبيب : هذا مستحيل ، للأسف .

جسلم : لماذا ؟

الطبيب : لا أشعر بأية عداوة تجاهك . وفوق ذلك ، فأنا ضد المبارزة .

جسلم : هذه ليست مبارزة ، انها نزال فرسان. والرابحان هما الشجاعة والرشاقة.

وأنت ترى كم يتوق الشعب لمشاهدة قتال فردى. فهم متشوقون لمشاهدة الرجال الشجعان. نريد أبطالا . هيا الآن؟ كن جسورا ، ياسيد لانسيلوت.

الطبيب : انا طبيب ، الطبيب سيمسون .

جسلم : « بعنف » : أنا لا أحفل بالنكات السمجة ! يمكنك أن تقول أنني مجنون وأنك طبيب ، ولكن سوف اركب طوالتّي وترتدى أنت خوذتك ويتعارك المارد مع لانسيلوت.

الطبيب : رافق السيد للخارج ياباتريك !

جسلم : « مهتاجا » آه ، لا ! ان كانت يديك لم تعد قادرة على حمل السيف ، فان يدى لن ترتجف... «يندفع باتجاه عدة القتال ، وقبل أن يتمكن الطبيب من منعه ينتزع سيفا» سوف أخلص روحك من الآثام. ولن يبقى لك سوى الثناء !

« يفتح الباب ويصرخ » يعيش لانسيلوت المقدام ! « يغُمد السيف في صوره هو»

الطبيب : ما الذى فعلناه ، ياباتريك ؟ !

باتريك : اهدأ ، أيها الطبيب ، اهدأ ... لقد وقع ما وقع عن غير قصد .

(٥) – المكان كله يصير مسرحا

« الطبيب وقاضي القضاة ، سيّد بدين بثياب القاضي وشعره المستعار، يهرولان على طول رواق منزل سويفت الكبير. يتبعهما شرطيان ضخما الجثه ، أحدهما بنى اللون والثاني اسمر اللون ، وهما يسحبان باتريك من قفا عنقه سحبا . القاضي يفتح باب المكتب . يرى سويفت جالسا الى مكتبه وفانيسا بجانبه »

الطبيب : عذرا لهذا التطفل ، أيها الجليل ، ولكن لدينا رسالة مستعجلة لك .

فانيسا : وما الداعى لوجود هذا القاضي وهذان الشرطيين؟ هذا بيت خاص .

القاضي : « بجفاف » : معذرة ، أيتها الممرضة . ولكن عندما يقتحم المجرمون منزلا خاصا فان القانون لابد أن يلاحقهم عاجلا أم آجلا !

« القاضي يفتح النافذة ويرى الجميع ثلّة من رجال البوليس يسوقون ضيوف العميد الى عربة تجرها أحصنة وهي مغطاة بالخيش »

فانيسا : هذه قسوة ! ايها الطبيب ، كيف يمكنك أن تترك مرضاك في ...

الطبيب : « مقاطعا » : هؤلاء ليسوا بمجانين وانما ممثلون مسرحيون !

مسرحيون جوّالون عاديون. وسوف يعاقبون لقيامهم بالتمثيل بدافع مزاعم زائفه.

القاضي : هناك، أيها العميد العزيز، ترى كيف أساء هؤلاء الأوغاد استعمال وصيتك الانسانيه، لقد قصدت تخفيف العبء عن البؤساء وآويت عصبة من المحتالين.

تعال الآن، ياباتريك! اخبر سيدك كيف احتلت عليه.

باتريك : «يسقط على ركبته»: اصفح عني، ياسيدى! لم أفكر أبدا أن هذا سيحصل ... لم اقصد سوى الخير! ان اللوم يقع على وصيتك. فعندما كتبتها، قلت لنفسي، ما الذى سيحدث في هذا المنزل، لو صار ملاذا للمجاذيب؟ وعلى الرغم من كل شيء، فنحن خدم وحسب، ولسنا ممرضات... ولدينا طاقة للتحمل! وفي تلك اللحظة بالذات حضرت هذه المجموعه من الممثلين الجوالين الى دبلن. وهكذا مضيت لمقابلتهم وقلت، «أيها السادة، لدى لكم عمل طيب تماما! يمكنكم الاقامة في مقرّ العميد، وسوف نقدم لكم المأكل والمشرب، ومقابل ذلك عليكم أن تتظاهروا بالجنون التام بكل هدوء» آه، اصفح عني، ياسيدى! كل ما قصدته أن يمثلوا بعض الشخصيات الهزلية التي ابتكرتها، ياسيدى.

القاضي : «بشكل ميلودرامي»: يالها من حيلة ماكره!

باتريك : قدّرت أن العميد لن يغضب. فلقد أحبّ هو نفسه على الدوام هذا الضرب من المزاح. وفى بداية الأمر سار كل شيء على اكمل وجه. كان هزلا حقيقيا... واحد تظاهر بأنه ليليبتاني، والآخر مارد... وكل شيء يجرى بروح

طيبة ! لكن الأوغاد تمادوا كثيرا . فبدأوا يغرقون بعضهم البعض وحصلت اراقة دماء....

القاضي : لقد أثاروا المدينة كلها ! وهم يثيرون الشعب في الشوارع . انها جائحة جنون شاملة !

باتريك : انهم ممثلون ، ياسيدى ! ما الذى تتوقعه غير ذلك ؟ انه ارتجال .
هناك شيء ما من هاملت في كل ممثل .

فانيسا : الى أين يأخذون هؤلاء القوم ؟

القاضي : الى السجن ، ياآنسة فانيسا . المكان المناسب لهذا النوع من الفن .

باتريك : ولكني أدليت باعتراف صريح.....

فانيسا : لا تقلق ، ياباتريك ! مدّبرة المنزل هي المسؤولة عن كل ما يحصل فيه .
« للقاضي » يمكنك أن تعتقلني ، ياسيدى !

القاضي : أنت مصروفة من الخدمة ، ياآنسة فانيسا ! لقد أقالك مجلس الأوصياء من جميع مهامك المتعلقة بالعناية بالعميد سويفت ! من فضلك سلّمى مفاتيح البيت للممرضة الجديدة.....
« يفتح الباب وتظهر استير جونسون . مرتدية لباس مدبرة البيت الأسود »
دعني أعرفكما ببعض ، أيها الطبيب. الآنسة استير جونسون ستكون الآن مساعدتك .

استير : سبق وتعارفنا أنا والطبيب . واعترف لكم انه اعتبرنى مجنونه .

الطبيب : بالاحرى ، ممثلة مسرحية .

فانيسا : لم تخب ظنوني فيك أبدا ، ياآنسة جونسون . فليس لديك الموهبة الكافيه كي تكوني ممثلة مسرحية ، كما ينقصك بعض الصدق كي تبدين مجنونة . ولكني مسرورة لان مجلس الأوصياء اختارك أنت . آمل أن الوقت الذى صرفته تطوفين حول البيت وتتلصصين من النوافذ سوف ينفعك !

استير : أنا أسفه جدا إذ حللت محلك ، أيتها الممرضة ... ولكن المهم هو بقاء العميد في صحة جيدة وتحت رعاية حسنة ، أليس كذلك ؟

فانيسا : بالطبع ، آنسة جونسون . ولدىّ رجاء عندك . أرجو أن لا تعلق أية ستائر مزينة برسوم الأزهار ، فالعميد لن يوبخك ، لكنّه سوف يتألم . فهو لا يستطيع احتمال الذوق المبهرج الرخيص .

استير : « كاظمة غيظها » : حسن جدا ، أيتها الممرضة . سأعنى برجائك . ولكن سأنزع هذى الستائر في الحال . فهي قاتمة جدا ، على الرغم من أنها مطابقة للذوق الحديث .

فانيسا : « تخرج حزمة المفاتيح » : هذا مفتاح هذه الغرفة والمطبخ . هنا مفاتيح خزانات الكتب . هذا للمكتب ، يا آنسة جونسون . وسوف اريك كيف ترتّب الأوراق . فالقس يحب أن يجدها فى ترتيب معين . وأنا على ثقة من أن شيئا لن يضيع أو يفقد ؟

استير : سوف اهتم بذلك ، ياآنسة .

فانيسا : ولكن سأريحك من هذه الأوراق «تأخذ لفيفة من الرسائل» انها مراسلاتى الخاصة مع العميد .
أيمكننى أخذهـا ؟

استير : بالطبع ، ياآنسة . فأنا أشكّ فى أن يجد فيها كتّاب سيرة العميد ونقاد أعماله أيه أهمية .

فانيسا : ملاحظة صائبة تماما ، ايتها الممرضة . أرجو أن لاتنزعجى لمناداتك بهذا الاسم ؟ أجل ، آنسة جونسون ، أنت على حق تماما . وسوف احرق هذه القصاصات فى الحال ، فهى لاتهم أحداً « تتجه الى الموقـد »

« سويفت ينهض فجأة ويتجه صوب الموقـد »

استير : « تتبعه مسرعة » : ماالأمر ، أيها العميد ؟ لم هذه الدموع فى عينيك ؟ هذه ليست فانيسا التى تعنيها ! فانيسا تلك ماتت ... وأنت تعرف ذلك ... مانفع هذه الرسائل بالنسبة اليك ؟ حسنا ، ان كانت هذه الرسائل تعنى لك الكثير ... « تمد يدها الى الموقد وتضعها فيه » فسأجمعها كلها . سأعيد كل كلمة ... ولكن هدئ نفسك .

« سويفت ينحنى اليها ، يأخذ يدها المحروقة ، المغطاة بالسخام ويلثمها »

آه ياسيدى ! هل تلك الفتاة عزيزة عليك الى الحد الذى يجعلك مستعد لأن تحتملنى ؟ أشكرك ! هيا الآن ، فيجب أن ترتاح .

« يتجهان الى الباب . وعندما يصلان اليه تلتفت الآنسة جونسون الى القاضى » سيدى ، العميد يلتمس منك أن لاتأخذوا هؤلاء القوم هذا اليوم . دعهم هنا يوما آخر فقط ... فالسهر عند جثة الميت قبل الدفن لم ينته بعد . « القاضى ينظر الى الطبيب متسائلا . الطبيب يومىء برأسه علامة الموافقة »

القاضى : حسن ! على مسؤوليتك ، أيها الطبيب . ولكن لا

مسرح ، لاتمثيل . هل تسمع ؟ فرقوا الحشد ؟ وخلوا الممثلين فى الحجز داخل العربة وتحت الحراسة ! هل هذا واضح ، أيها الشرطى ؟

الشرطى البنى : حسن جدا ، ياسيدى .

«ينظر الطبيب من النافذة . شرطيان يثبتان حاجزا ضخما من القضبان فى مؤخرة العربه» .

(٦) — صمبـدى

«المساء . الزاوية البعيدة من الحديقة . عربة الممثلين بالخيش الذى يغطيها . مؤخرتها مغلقة بحاجز حديدى الآن ، وعليه قفل ضخم . يمكن رؤية وجوه الممثلين من وقت لآخر عبر القضبان . العربة يحرسها الشرطيان على مقربة يقف سويفت صامتا.

الممثلون يغنون بهدوء»

الشرطي الاسمر : كفّوا عن هذا الغناء !

الشرطي البني : دعهم يغنون... صوتهم ليس عاديا جدا.

الشرطي الاسمر : لا يسمح بأى تمثيل. سوف يجذب الجماهير.

الشرطي البني : معك حق في ذلك ! ومع ذلك يا للخسارة. لقد رأيت بعضا من انتاجهم... وأحببت دور الليليبتانيين.

الشرطي الاسمر : ذاك الذى غرق في كوب الشاى ! ها ها ! ! ! لابأس به .

الشرطي البني : ولا بأس بالمارد أيضا... ولكن الذى أبهجني كان الرجل الذى يعيش الى الأبد.

الشرطي الاسمر : أى واحد هذا ؟

الشرطي البني : ذاك الذى نسي من يكون «يشير الى الحاجز الحديدى» هذا هو...

يقول : «تلك البلوطة عمرها خمسمائة عام ، ولكني
أذكرها وهي جوزة ..»
هيه ، أنت تعال هنا .

الشرطي الاسمر : من الأفضل ألاّ تثيرهم .

الشرطي البني : لن نزعج أحدا . سنتسلى فحسب .

صمبدى : هل ناديتماني ، أيها السيدان ؟

الشرطي البني : يا للطريقة التي تبدو عليها ثيابك ، يا رجل ... بالتأكيد فان منظرك مضحك ما أسمك ؟

صمبدى : كما ترى ، لقد عشت فى هذا العالم طويلا جدا لدرجة انني نسيت اسمى . ولهذا سمّني «صمبدى» .

الشرطى البنى : «صمبدى» ؟ «يضحك» ياهؤلاء الممثلين ... وكم تبلغ من العمر ؟

صمبدى : لمدة آلاف من السنين .

الشرطى البنى : تقول عدة آلاف ... «يضحك»

الشرطى الاسمر : ياللثراء !

صمبدى : «بحزن» لا داعى للضحك ، ياسادة . الجميع يعيشون الآلاف العديدة من السنين . أو اكثر . ولكن معظمنا يعانى من قصور الذاكرة . «يمعن النظر فى وجه الشرطى البنى» لقد رأيتك فى مكان ما من قبل ، ياسيدى منذ حوالى خمسين عاما .....

الشرطى البنى : خمسون ؟ ها أنت مخطىء الآن . فعمرى لا يتجاوز الخامسة والاربعين .

صمبدى : فى هذه الحياة . هذه الحياة ! ولكنا تقابلنا فى التى قبلها . لقد تذكرت تماما الآن . كنت فى الخدمة فى ساحة السوق . قرب السجن البلدى .

الشرطى الاسمر : هذا مكان خدمته الآن .

صمبدى : ربما . ولكننا تقابلنا فى عهد الملك جورج الأول . «يمعن النظر فى وجه الشرطى البنى» أجل ، هو أنت .... لقد تذكرتك ... الشارب البنى والنمش ... أنت بنفسك ستتذكر لو بذلت القليل من الجهد .

الشرطى البنى : وكيف يمكن ذلك ؟

صمبدى : أغمض عينيك .

الشرطى البنى : حسن «يغمض عينيه»

صمبدى : تقول أن عمرك خمسة وأربعون عاما الآن ؟

الشرطي البني : أجل .

صمبدى : حاول الآن وبكل هدوء فقط ، وبدون عجله ، استحضار حياتك الماضية .
أنت الآن في الثلاثين ، أتذكر ؟

الشرطي البني : أذكر ذلك ، أجل .

صمبدى : وعندما كنت في العشرين ؟ فتيا ، متين البنية ، وافر اللون في وجنتيك... أتذكر؟

الشرطي البني : أجل ، أذكر... بالطبع أذكر . ذلك عندما تزوجت بولي .

صمبدى : عظيم . والآن أنت في العاشرة . اتذكر ؟

الشرطي البني : حسن ، أشياء قليلة... كنا نعيش قرب «غلاسغو» وقتها ، في الريف .

صمبدى : لا تستطرد ، ولا تقطع تركيزك . نحن قادمون الآن الى اللحظة الحاسمة .
انت الآن في الخامسة . اتذكر ؟

الشرطي البني : «بعد تفكير» حسن . قليلا جدا ...

صمبدى : أنت الآن في الرابعة... في الثالثة... سنتان... سنة... أنت الآن في الرحم؟

الشرطي البني : أين ؟

صمبدى . في رحم امك ! جنينا مستلقيا هناك ، ودماء امك تجرى فيك . تذكرّ!
هيا ! حاول أن تتذكّر. والآن أنت تمر من هذه الحياة الى الحياة السابقة... أعبر! وهنا أنت ، في بزتك النظامية وخوذتك ، في ساحة السوق في دبلن ، قرب السجن البلدى. تمر بك العربات ، يطير فوقك الحمام. وأنت واقف هناك تحدق فيه !

الشرطي البني : « يفتح عينيه مرعوبا » آه ، لقد تذكرت !

دارك : انكما تخترعان هذه الافكار !

الشرطى البنى : قسما ! لقد تذكرت ! أنا واقف هناك ، فى ساحة السوق ...

دارك : انت تقف هناك على الدوام الآن !

الشرطى البنى : ربما . ولكن هذا كان منذ زمن بعيد ، أيها المسيح ! « يرسم اشارة الصليب » ايتها العذراء ... لقد تذكرت ! لطالما أحسست بأننى قد عشت من قبل....

صمبدى : بالطبع ، عشت ! الجميع عاشوا من قبل – ولاتحتاج الا لأن تتعلم كيف تتذكر ذلك . هذه هى الرسالة التى يبشر بها العميد سويفت .

الشرطى الاسمر : « ملاحظا قدوم الطبيب » اش ! اهدأوا . « يمسك بذراع الشرطى البنى » تعال ، ياجاك ، والا سنلقى المتاعب .

الشرطي البني : « غير قادر على ضبط نفسه » : كنت واقفا فى ساحة السوق ! هو ذاك ! فى ساحة السوق !

الشرطي الاسمر : حسن ، وماذا فى ذلك ؟ ما المثير فى هذا الشيء ؟ « يقوده بعيدا » .

« الطبيب يتجه الى سويفت يحاول مترددا أن يجره الى الحديث »

الطبيب : سيدى ، أودّ بصورة أو بأخرى أن نبدأ فى فهم بعضنا البعض ... لا أعرف كيف يمكن لذلك أن يتحقق ، ولكن ، صدقنى ، أنا لا اتمنى لك سوى الخير . « يبتسم » أنا لا أعتقد أنك مجنون !

« سويفت يمعن النظر فى عينيّ الطبيب »

سويفت : هـــس ! ....

الطبيب : ماذا ؟ قل لى ، أيها العميد ... أخبرني ....

« الشرطي البني يظهر ثانية عند الحاجز الحديدى . دون أن يلاحظ وجود سويفت أو الطبيب »

الشرطي البني : « يقرع القبضان » : ياسيد صمبدى !

صمبدى : « يبدو من بين القضبان » ماالأمر ، أيها الشرطي ؟

الشرطي البني : أرجو ألا أكون أيقظتك . ولكنى أود الخوض فى الموضوع اكثر من ذلك .....

صمبدى : ماذا تعنى ؟

الشرطي البني : متذكرا حياتى السابقة . النقطة التى وصلنا اليها حيث كنت أقف فى ساحة السوق ، قرب السجن .

صمبدى : تعنى ، فى عهد الملك جورج ؟

الشرطي البني : أجل .

صمبدى : حاول أن تتذكر المزيد .

الشرطى البنى : «يغمض عينيه» : بعد ذلك لا بد أننى كنت فى الثلاثين ... من ثم فى العشرين ... أتزوج بولى .

صمبدى : هل تزوجت بولى فى حياتك السابقة أيضا ؟

الشرطى البنى : «معتصرا ذاكرته بشدة» هكذا تجرى الأمور . ولكن «بولى» تلك كانت أصغر قليلا . وأقل سمنه . وهى أشبه بكاتى ، الفتاة التى كانت لى علاقة معها عندما ذهبت لرؤيه بعض الاقرباء فى مانشستر .

صمبدى : لاتستطرد ، لا تقطع تركيزك . أنت الآن فى العشرين ومتزوج من بولى ، التى تشبه كاتى ، ومن ثم أنت فى العاشرة ، الخامسه ... الرابعة ... الثالثة ... ستتان .... سنة ... أنت فى الرحم ، الى الوراء .... الى الوراء بعيدا ! وهنا أنت فى الحياه التى كانت قبل حياتك السابقه ....

الشرطى البنى : لابد أن هذا فى عهد الملك ادوارد ؟

صمبدى : أجل ، هل تذكرت شيئا ؟

الشرطى البنى : أنا واقف قرب السجن ، فى ساحة السوق .

صمبدى : هل أنت واثق من أنك لا تخلط بين الأمور ؟

الشرطي البني : أجل ، واثق تماما . أنا في الخدمة ، أحرس السجن .

صمبدى : « بحزن » : أجل ، كما خمنت .

الشرطي البني : ما الذى يعنيه كل هذا ، ياسيدى ؟

صمبدى : لا جدوى من تذكر المزيد ، ياجاك ، أخشى أن المشهد سيكون ذاته دوما . العهود تتبدل وأنت واقف هناك في موقعك ، في ساحة السوق .

الشرطي البني : « بشيء من الضيق » : ولم الأمر هكذا ؟

صمبدى : من الواضح أن هذا هو قدرك ياجاك .

الشرطي البني : ولكن هذا مخيب للآمال جدا ، ياسيدى .

صـمبـدى : وما الذى بيدك في ذاك ؟

الشرطي البني : انه مخيب للآمال جدا ، ياسيدى ... أعرف أنه في الماضي لا يمكن أن أكون سيدا أو عميدا مهما ، مثل عميدنا سويفت. لكن ، من جهة ثانية ... لماذا أعامل هكذا؟ يتركونني واقفا هناك ولا شيء يتغير...

صـمبـدى : اعذرني في قولي هذا ، ياجاك ، ولكنها غلطتك أنت .

الشرطي البني : غلطتي أنا ؟

صـمبـدى : بالطبع . فما الذى فعلته لتغيّر أى شيء في قدرك؟ هل قمت بأى عمل حازم على الاطلاق في حياتك؟ لقد كنت تحرس السجن على الدوام. في عهد الملك جورج . وفي عهد الملك ادوارد . وفي عهد الملك هنرى .

الشرطي البني : ولكن السجن مكان المجرمين.

صمبدى : هذا يتوقف على الزاويه التى تنظر اليه منها ، ياجاك . روبن هود اعتبر مجرما ، ولكنه فى النهاية صار بطلا . جان دارك كانت مهرطقة ، وبعد مائة سنة أضحت قديسة . أنت وحدك ، ياجاك ، وقفت تحرس السجن ببلاهه قرنا بعد قرن ، ولم تجشم نفسك عناء التفكير أو الفهم ! ومالذى تفعله الآن ؟

الشرطى البنى : ماالذى تقصده ؟

صمبدى : ما الذى تفعله هنا الآن ؟ لم وضعوك هنا ؟

الشرطى البن : لأحرس ....

صمبدى : كما كنت منذ مئات السنين ، ان أردت أن تتذكر ما كنت تفعله مثل هذا اليوم ، كيف سيكون حالك اذا ظللت تتذكر ؟ لا ضير فى ذلك . ستكون ثانية فى حراسة اناس أبرياء وضعوا خلف القضبان .

الشرطى البنى : ولم احتجزوهم ؟

صمبدى : ولم يحتجزون الناس فى ايرلندا ؟ لأى سبب كان . انا هنا لانني أعيش الى الأبد . قل لى ، ياجاك ، هل هذه جريمة ؟

« الشرطى البنى يقضى برهة من الوقت وهو يتأمل الأمر متجهما »

الطبيب : « لسويفت » عذرا ، ياسيدى ، انا مضطر للتدخل ... هذا كلام خطير . صدقنى . لست غرا فى مجال الطب العقلى .

(« هس ! » يأتى الصوت من مكان ما خلفه . ينظر الطبيب حوله خائفا ويرى مجموعة من المواطنين وأصابعهم على شفاهم : « هس ! » الشرطى البنى يمضى الى الحاجز الحديدى فى مؤخرة العربة من جديد .)

الشرطى البنى : سيدى صمبدى .

صمبدى : أنا هنا ، ياجاك .

الشرطي البني : أخبرني ، ياسيد صمبدى ، منذ متى بدأ هذا ؟

صمبدى : منذ متى بدأ ماذا ؟

الشرطي البني : منذ متى وانا حارس للسجن ؟

صمبدى : هذا ما لا أعلمه ، ياجاك . استخدم ذاكرتك .

الشرطي البني : ولكنك تقول أنك عشت عدة آلاف من السنين .

صمبدى : أجل ، الأمر كذلك . ولكن هذا لا يعني أننا كنا نتقابل كل ذاك الوقت . أية فترة تشغل بالك ؟ العصور الوسطى ؟ الغزو النورماندى ؟

الشرطي البني : عام ٣٣ .

صمبدى . ماذا ؟

الشرطي البني : عام ٣٣ بعد ميلاد المسيح. سنة الصلب ! « يخفض صوته الى درجة الهمس » أنا رجل أخشى الله ، ياسيدى. قد أغفر لنفسى كل شيء عدا ذاك. حاول أن تتذكر. عام ٣٣. اورشليم....
السجن البلدى... الحراس يحضرون المسيح من السجن....

صمبدى : ليحفظك الرب ، ياجاك ، أنا لا أذكر ذلك !

الشرطي البني : ولكن الآخرين يذكرون . سقف كاثدرائيتنا مزّين بالرسوم. وهنا له لوحة... للمسيح وهو يقاد مكبلا... محاطا بالحراس والناس... والى اليمين هناك حارس. شارب بني ، نمشه على الوجه. اذنين بارزتين. «يصرّ باسنانه»

صمبدى : تمالك نفسك ، ياجاك ! لم تكن أنت !

الشرطي البني : « برعب » ومن كان اذن ؟

صمبدى : أنا أطمئنك . كان شخصا آخر .

الشرطي البني : اذن لماذا اتذكر كل ما جرى ؟ استعدت كل شيء ، وكأنه حدث البارحة.
تذكرت كيف قادوه ، وكيف صرخت الجماهير ، كيف جرده الجنود من ملابسه ، وألبسوه رداء قرمزيا. وعندما ضفروا اكليل الشوك ، وضعوه حول راسه ، ووضعوا قصبة في يده اليمنى ، وكانوا يجثون قدّامه ويستهزئون به قائلين ، لك السلام... وكنت أنا واقفا هناك فعلا. مسلحا. ولكني بقيت أتفرج — ولم احرك اصبعا لأنقذ الرجل البريء.

صمبدى : أنت مخطىء ، ياجاك .

الشرطي البني : لا لستُ مخطئا ، ياسيدى ! الآن تيقنت أن ذلك كان أنا. وهكذا بدأ قدرى ! وكان يمكن أن يتكرر حدوث ذلك مئات ومئات المرات ، ياسيدى ، لو لم تعلّمنى كيف اتذكر. ولكن الآن لابد أن أغير الأمور...

«يفتش في حزامه ، يخرج مفتاحا ويبدأ بفتح قفل الحاجز الحديدى»

الطبيب : « راكضا من مكمنه » ما الذى تفعله ، أيها الرقيب ؟

الشرطي البني : « شاهرا مسدسه ومهددا الطبيب » : لا تقترب اكثر من ذلك ! أنا ، الرقيب جاك ، أعتبر هؤلاء الناس أبرياء وأمنحهم حريتهم.

« الشرطي الاسود يأتي راكضا »

الشرطي الاسمر : جاك ، ما الذى تفعله ، هل جننت ؟

الشرطي البني : « مصوبا المسدس اليه » : تراجع ! أنا الرقيب جاك ، أطلق سراح هؤلاء الناس....

الشرطي الاسمر : وماذا أقول للقاضي ؟

الطبيب : سوف تعاقب ، أيها الشرطي ، على هذا عقابا شديدا !

الشرطي الاسمر : ستقام لك محكمة عسكرية ، ياجاك ، فكّر ثانية !

الشرطي البني : فكر أنت بنفسك ! تذكّر ! اذهب الى الكاتدرائية ، وانظر الى اللوحة وانظر ان لم تستطع رؤية صورتك بين الجنود؟

الشرطي الاسمر : أى جنود ؟ لقد فقد صوابه !

الشرطي البني : « للممثلين » : ها أنا أطلقكم ! « يضع المفتاح في القفل ويديره »

الشرطي الاسمر : توقف ! « يشهر مسدسه ويطلق النار على الشرطي البني » سامحني ، ياجاك ! ولكنه واجبي ! وأنا الآن قائم بالعمل ! « يصرخ » النجدة ! « يخرج راكضا »

« الشرطي البني يترنح ويسقط بين ذراعي الطبيب . صمبدى يخطو خارج العربة وينحني فوق الشرطي »

الشرطي البني : حسنا ، قضي الامر ، ياسيدى ... انظركم هو بسيط ذلك ... سوف أعيش حياة مختلفة من الآن فصاعدا ، أليس كذلك ؟

صمبدى : بالطبع ، ياجاك . كل شيء سيختلف . سوف تبدأ صفحة جديدة ، جديدة تماما .

الشرطي البني : « وهو يموت » كلا ، ياسيدى ... لا حاجة لان تكون جديدة كليا ... لتكن بولي فيها ثانية ... وكاتي ...

صمبدى : بالطبع ، فلتكونا هناك .

الشرطي البني : لكن لتكن النهاية مختلفة في المرة التالية .

صمبدى : النهاية ستكون مختلفة طبعا ، ياجاك . الآن ستكون مرتاح الضمير دوما .

وسترى السماء زرقاء كما هي الآن ....

« الطبيب يضع الشرطي البني على الأرض بحذر. يخرج الممثلون من العربة ويقفون حولهما صامتين على شكل حلقة . فجأة ينطلق صوت تصفيق .

يرفع الطبيب بصره مذعورا- المواطنون المجانين يصفقون . »

الطبيب : « مخاطبا سويفت ، صارخا » : ولكن هذه دماء ! ! ! قل لهم ! انها دماء

« العميد ينظر اليه صامتا . تزداد حدة التصفيق »

الفصل الثاني

(٧) – مجلس الأوصياء

قاعة ضخمة حيث يجتمع الأوصياء . لفيف من السادة على رؤوسهم شعر مستعار يقفون الى النوافذ المفتوحة ، يمسحون السماء بمناظيرهم . بينهم الطبيب . يمكن سماع بعض التعليقات » :

« هـذا هـو »
« أين ؟ لا أرى شيئا البتـه . »
« هناك ... شيء مدورّ ... مثل طبق الفنجـان . »
« انه مذنّب ، ياسادة ! مذنّب صغير . »
« أنا أقول أنه علامة من علامات السماء »
« ربما كان سحابـة ؟ »
« يفتح الباب ويدخل الحاجب ليعلن : وزير ايرلندا الأول ، السيد روبرت وولبـول . »
« يدخل الوزير الأول وقد بدا عليه القلق . ومعه قاضى القضاة »
« يسرع الجميع للجلوس حول الطاولة »

القـاضي : ياسادة ! سوف نعقد الآن اجتماعا طارئا لمجلس الأوصياء ، الذى استدعيته بناء لاوامر الوزير الأول ، « كل العيون تتحول الى الوزير الاول ، الذى يظل وجهه جامدا »

لقد أمرني الوزير الاول باعلامكم انه مهتم بشدة بصحة محبوبنا العزيز العميد سويفت وبالحالة العامة للبلد . ولا

داعى للقول بأننا جميعا شديدو القلق ، بسبب الضعف العقلى لمعاصرنا العظيم ؟ ولكن ما الذى يمكننا فعله ان لم يكن الطب قد حقق الكمال بعد ؟ وعلى أية حال ، فانى سعيد اذا أبلغكم أن الطبيب الجديد . الدكتور سيمسون . قد بثّ فينا الأمل . فهذا الطبيب الشاب لم يقض سوى أيام قليلة فى منزل العميد ولكنه قام خلالها بالكثير : فالممثلون احتجزوا ، والممرضة فانيسا صرفت من الخدمة ، والخادم ، المحتال الأصيل ، قد افتضح أمره . . . .

أحد أعضاء المجلس : عظيم !

الطبيب : مضطربا آسف ولكني لا أفهم . . .

القاضي : مقاطعا لا حاجة للتواضع ، أيها الطبيب . النجاح هو النجاح . على الرغم من أن بعض الحوادث التى جرت بعد ذلك كانت مزعجة بعض الشيء : فقد فر الممثلون وقتل الشرطي ، وطلب الخادم المحتال التوبة والعوده الى وظيفته السابقة .

عضو مجلس أول : البارحة غرق مركبان شراعيان أخريان فى ميناء دبلن .

عضو مجلس ثان : بحمولتها ؟

عضو مجلس أول : بالطبع . كانا يحملان الثياب . ثياب انجليزية رائعة .

الاسقف : ولا تنسوا القلاقل في كومنترى .

القاضي : أجل ، حقا . . . القلاقل في كومنترى . . والشغب في غلاسكو . . . وأخيرا ، هذا . . . « يشير الى النافذة »

هذا الشيء الطائر المبهم ، الذى ظهر في سماء ايرلندا ، ناشرا الذعر بين الجماهير .

العالم : انه نيزك ، يا سادة . نيزك بدون ذنب نمطى !

القاضي : هل أنت واثق من ذلك ؟

العالم : بالطبع ، واثق . لدينا براهين لا تقبل الجدل .

الاسقف : انها علامة من السماء . بشير بيوم الحساب الأخير .

العالم : انه نيزك بدون ذنب ! صدقني يا سيدى الاسقف .

الاسقف : دع السماء للكنيسة ، يا ولدى !

العالم : كلا يا سيدى . مع الاحترام ! السماء جزء من نظام الكون وهذا يخص العلم !

الوزير الأول : « بهدوء ولكن بحيث يسمعه الجميع » السماء فوق ايرلندا جزء من ايرلندا . هذا يخص انكلترا .

القاضي : لا ريب في ذلك ، يا سيدى ، لا ريب ! « للجميع » ولهذا بالضبط سألنا لندن عن طبيعة هذه الظاهرة الملحوظة .

أحد أعضاء المجلس : وماذا كان ردّهم ؟

العالم : نيزك بدون ذنب ، أنا مسؤول عن ذلك ؟

القاضي : فقط لو . . .

الاسقف : يوم الدينونة ؟

القاضي : أسوأ . لقد كتبوا : قرّروا بأنفسكم ! .

فترة صمت

ما هي آراؤكم حول هذا الموضوع ، يا سادة ؟
اذا سيكون الرأى العام هو اعتبار هذا الموسم الجسم الغريب غير موجود .

عضو مجلس

أول : سراب ؟ حلم ؟ طيف ؟

القاضي : هذا ما علينا أن نقرره . لدينا حرية اختيار كاملة .

العالم : اقترح مصطلح « هذيان » . هذيان نموذجي ، يا سادة ! وهو مدعّم بالوقائع التي لا تقبل الجدل .

عضو مجلس

أول : صحيح تماما . عندما تنتشر القلاقل على الأرض ، تظهر لنا هذه الاشياء الـ . . . .

الطبيب : ناظرا حوله بدهشة : اعذروني ، يا سادة ، أنا لا أفهم بالضبط . . .

القاضي : « بشيء من الغضب » : ماكل هذا ؟ هل انت من أهالي نوتنغهامشير حقيقة ؟

الطبيب : نعم ، أنا منهم . وماذا في ذلك ؟

القاضي : آه ، لا شيء . ظننت أنه لا بد أنك . . .
« يبتسم الجميع وينظرون بتعال الى الطبيب » .
هل قرأت الجزء الثالث من رحلات جاليفر ؟

الطبيب : لقد بدأت به . ولكنه مملّ جدا .

القاضي : مملّ ؟ حقا ، أتعلم . . . « يخرج الكتاب » فقط اقرأ هذه الصفحة ، ٢٧١ . يسلم الكتاب للطبيب اقرأها بصوت عال من فضلك !

الطبيب : يقرأ . . . كانت الشمس حادّة جدا ، حتى أنني اضطررت الى أن أشيح بوجهي عنها : وفجأة عمّ الظلام كل شيء ، كما خمّنت ، بطريقة تختلف تماما عمّا يحدث حين تعترض السماء سحابة . درت على عقبّى ، فرأيت جسما معتما ضخما يحجب الشمس عني . . . ولن يتمكن

القارئ بيسر من تصور ذهولي ، لدى مشاهدتي جزيرة في الهواء . . .

الوزير الأول : بهدؤ . لكن بحيث يسمعه الجميع : جزيرة في الهواء . . . رائع !

القاضي : دون ريب ، يا سيدى ! اسلوبه لا يضاهى . تابع القراءة ، أيها الطبيب

الطبيب : . . . الجزيرة الطائرة أو العائمة دائرة تماما ، قطرها ٧٨٣٧ ياردة أى حوالي اربعة أميال ونصف . . . .

العالم : ناظرا بالمنظار خارج النافذة : كالعادة ، انه دقيق تماما . فالهذيان يتخذ هذه الأبعاد تماما .

الطبيب : لقد فهمت جيدا ، يا سادة !

العالم : « ساخرا » أخيرا . . . تهانينا .

القاضي : « للعالم » وفّر تهانيك . يجب أولا أن تعرف ما الذى فهمه . فعلى الرغم من كل شيء هو من نوتنغهامشير .

الطبيب : أتريد أن تعزو ذلك « يشير الى النافذة » الى سويفت ؟

القاضي : « مستهجنا » ماذا تعني بـ « تعزو » أيها الطبيب ؟ انتق تعابيرك . لقد كتب كل هذا منذ زمن بيعد . لا بد أنك متأكد من أن مثل هذا الوصف التفصيلي والفني البارع قد يثير هذيانا شديدا بين الأمة كلها .

العالم : جانّحة جنون ! عندما يجن واحد من عامة القوم ، فانه لا يترك أثرا ، ولكن عندما يتفجر عقل عظيم مثل عقل سويفت فان الافكار والتصورات تتطاير ، في كل اتجاه .

الطبيب : لكن العميد سويفت ليس مجنونا . هذا رأيي القاطع كطبيب !

عضو مجلس أول : لاتكن متعجلا ، يا صديقي العزيز ، لا تكن متعجلا .

الطبيب : « مصر » العميد سويفت ذو عقل سليم تماما ! ولقد أعلمت لندن بهذه الحقيقة .

اضطراب عام

القاضي : « بجفاف » ومتى أعلمتهم ؟ وأعلمت من ؟

الطبيب : منذ بضعة أيام بعثت برسالة . . .

القاضي : « للوزير الأول » لم نعد قادرين على ايقافها . لمن الرسالة ؟ لمن كتبتها ، يا سيد ؟

الطبيب : لعضو في البرلمان طلب مني أن أزوده بالأخبار .

القاضي : وهكذا سيصبح كل ذلك معروفا لدى الصحافة .

الاسقف : يا له من تصرف احمق ! تصرف أحمق جدا !

الوزير الأول : ينهض ويتجه نحو الطبيب : وكيف أمكن لهذا أن يأتي الى هنا على أية حال ؟

صمت عام

أنا أسأل كيف أتى هذا الشخص الى هنا ؟ ومن كلفه بذلك ؟

فترة صمت

القاضي : « بهدوء » أنت ، يا سيدى !

الوزير الأول : « بعنف » أعرف ذلك ! ولكن من الذى قام بتزكيته ؟

القاضي : بدا ترشيحه مستوفيا للعديد من المؤهلات : حداثة السن ، الحماقة ، الجهل ... . لهذا لم يبد عليه أنه سيقع تحت تأثير العميد .

الوزير الأول : ومن ، بالتحديد ، صادق على تعيينه ؟

القاضي : « مترددا » سويفت ! لسبب ما اختاره هو من بين كل الأطباء الذين عرضوا عليه .

« الوزير الأول يلقي نظرة شاملة الى الطبيب ، ومن ثم يمشي

مسرعا بخطى ثابتة نحو الباب . القاضي يهرع خلفه ».
استراحة ، يا سادة ! استراحة قصيرة !
ينسحب القاضي والوزير الأول . يتجه أعضاء المجلس الى النافذة ، وهم يتهامسون فيما بينهم ، ويستأنفون مراقبة الجزيرة الطائرة .

الطبيب : « مخاطبا الجميع » : يا سادة ! ربما ستفسرون لي ما حدث ؟ لم هذا الخداع ؟ لمصلحة من ؟
« الجميع يتطلعون في مناظيرهم ويتظاهرون بأنهم لم يسمعوا » « يصرخ تقريبا » ما الذى حدث ؟

عضو مجلس أول : « يأخذ الطبيب من ذراعيه ويخفض صمته الى الهمس » ! لا حاجة للصراخ ، أيها الشاب . سنعرف ما حدث عندما يعود القاضي والوزير الأول . يمكنني أن أعطيك رأيي في الموضوع : أنت دمرّتنا ، دمرّت ايرلندا ، ودمرت سويفت .

الطبيب : لكن كيف ، اللعنه على الجميع ؟

عضو مجلس أول : لقد شرحوا لك كل شيء سويفت كاتب هجاء عظيم . هذا اذا ما حكمنا حسب معايير النقد .

عضو مجلس ثـان : آخذاً الطبيب من ذراعه الآخر وهامسا : ولكن اذا حكمنا حسب القانون العام . فانه مقابل كل كتيب كتبه يستحق على الأقل أن يقضي حياته في السجن .

العالم : « آتيا من خلفهم » والحياة نفسها أوحت بالحل : يعتبر العميد مجنونا ، نحن الأوصياء عليه . هو يكتب ما يشاء ونحن نقوم بكل ما نستطيع القيام به .

الاسقف : وكلنا أبرياء امام الله !

عضو مجلس
أول : وامام الحكومه !

العالم : أتدرك أي تناغم كامل دمرّت . أيها الطبيب ؟

الطبيب : كل ما فعلته هو أنني وصفت التشخيص .

عضو مجلس
أول : يكون التشخيص اتهاما في بعض الأحيان !

يفتح الباب . يدخل الوزير الأول عابسا ومعه القاضي .
يعود الجميع بسرعه الى اماكنهم حول الطاولة

القاضي : أيها السادة ! سوف نتابع جلستنا الآن . لقد كلفني الوزير الأول باعلامكم أنه بعد التصريح الهام الذى قام به طبيبنا لن نستطيع انتظار أوامر لندن طويلا ونحن نرى كيف يتصرف العميد دون أن نحرك ساكنا . . . كل هذه الممارسات الغريبة . وخاصة هذه الجنازه السخيفه التي وضع ترتيباتها لنفسه . يجب أن تنتهي في الحال !

عضو مجلس
أول : ولكن كيف ؟

القاضي : بطريقة طبيعية الى أبعد حد !

« فترة صمت . الاسقف يبدأ صلاته بصوت منخفض »

(٨) – جاليفــر

مكتب العميد . سويفت يجلس الى مكتبه . تجلس بجانبه استير جونسون ومعها مفكرة .

صوت غناء تحت احدى النوافذ . يبدو الصوت كبير الشبه بصوت فانيسا

استير : هل أغلق النافذة ، أيها الجليل ؟ رطوبة الهواء زائدة .

« تمضي الى النافذة وترى مغنية تشبه فانيسا تماما » من فضلك امض الى الحديقة ، يا عزيزتي . توجد هناك طاولة للضيوف . سوف يقدمون لك ما تأكلينه . تغلق النافذة من المدهش كم تشبه هذه المتشردة فانيسا التي كانت هنا ، وانما تلك التي كنت تحبها . . . . « تتوقف برهة » آسفة ، يا سيدى ! أنا أتطفل على ذكرياتك . دعنا نتابع عملنا . « تحمل المفكرة » « سويفت ينهض ، يتجه نحو النافذة ويضغط بوجهه على زجاجها . الفتاة التي تشبه فانيسا تشاهد للحظة على بعد » أنت تجلب البلبلة لنفسك ، أيها العميد . « بحزن » لقد تعبت . من الصعب كثيرا فهم رجل يفكر في البشرية كلها وفي الوقت ذاته في فتاة عند النافذة .

« سويفت يعود لمواجهتها »

كلا ، يا سيدى . قلت لك أنني لا أعلم أين دفنت فانيسا . لقد استقصينا هذا الأمر ولكن دون جدوى .
« بغضب مفاجئ » وهذا يذكرني . ان قبر ستيلا موجود هنا ، عند جدار الكاتدرائية . لم تبدل الأزهار هناك لمدة ثلاثة أيام . ولقد كانت مغرمة بالزهور البرية . . . . .

« تسمع ضجة في الحديقة . حجر يكسر النافذة ويسقط في غرفة المكتب »

« تقفز منزعجة » هؤلاء « الياهو » المرعبون من جديد ! هذا ليس مكانا آمنا ، ايها الجليل !

« سويفت يبقى ساكنا . صوت تحطم زجاج آخر . صرخات وأصوات عراك في الخارج . الباب يفتح فجأة ويظهر الطبيب ساحبا معه باتريك »

باتريك : « مقاوما » انت تخيلّت ذلك ، أيها الطبيب ! لست أنا من فعل ذلك .

الطبيب : تخيلّت ذلك ؟ يقلب جيب سترة باتريك الطويلة فيسقط منها عدد من الأحجار هذا الوغد كان سيحطم كل ما في هذا الست من النوافذ ، في وقت قصير .

« سويفت يتجه الى باتريك . ينظر في عينيه بحزن . ومن ثم يبتعد مسرعا باتجاه الباب »

باتريك : « يهرع خلفه » ليس صحيحا ، أيها الجليل . لم أفعل ذلك . بل هم !

الياهو ! هززت قبضتي في وجوههم لأخيفهم فظَن الطبيب انني أقذف شيئا . . . .

« يخرج سويفت »

« مواجها الطبيب بنظرة يأس » انظر الآن ماذا فعلت ، يا سيدي ؟

لقد سددت سهما الى قلب العميد .

الطبيب : لأستير لقد رأيت الكثير من الأجلاف الوقحين في حياتي ، ولكن هذا . . . .

استير : اتركنا ، يا باتريك ! من الواضح ان طبيبنا قد ارتكب خطأ ، وسوف أحاول أن أقنعه بذلك .

باتريك : اقنعي السيد ، يا انسة جونسون . هذا هو الأمر الأساسي .

لقد أصابته نوبة قلبية هذا الصباح . . . . .

استير : ساحاول ، لاتقلق ، يا صديقي . . . .

« يخرج باتريك »

الطبيب : « واثقا » هكذا اذن ! فهمت ! انها مؤامرة ! أنت ، يا آنسة جونسون .

ذاك الخادم الوغد . . . . مجلس الأوصياء . . . جميعكم تتمنون موت العميد . لقد الح اليَّ احدهم اليوم أن نكبة ستقع . الآن عرفت من الذى يذبرها .

استير : عفوا ، أيها الطبيب ، لقد كان لدى على الدوام تصور بائس فيما يتعلق بنباهتك . لا بد بسبب كونك من نوتنغهامشير .

الطبيب : اللعنه ! لم تداومين على لكزى با سم نوتنغهامشير ؟

استير : يقولون أن الضباب كثيف هناك . وأن كل البلد متخلفة عن اللحاق بركب التقدم . ألتمس منك ألا تصنّف الامور بهذا الشكل الحاد ! انت الآن في بيت غير عادى وتعمل مع أناس من مستويات مختلفة . لا تتسرع في استخلاص الأحكام ! واذا ما بدا لك فجأة أن أحدا ما يقذف حجرا . . . .

الطبيب : ليس أحد ما ، بل باتريك ! لقد رأيته بأم عيني !

استير : حتى لو كان هو ! يجب أن نفكر أولا لماذا يفعل ذلك ؟ هل ابتغى الأذية أم على العكس تماما ؟ فربما قصد اسعاد سيده ؟

الطبيب : « مذهولا » اسعاده ؟ !

استير : كل الهجّائين نوافذهم مكسورة . انها احدى خصائص هذا النوع من الأدب . باقات الورود للشعراء ، كسرات القرميد لنقاد المجتمع . انها مجدهم ومكافآتهم . . . الهجّاء الذى يكفّ عن اثارة السخط لم يعد هجاء حقيقيا . بل ان حياته تفقد كل معنى . ولهذا أحزنت فعلتك العميد بشدة .

الطبيب : أنا الملوم أذن ! أنت تدبرين هذه العروض التمثيلية الصامتة ، ثم تلقين باللوم علّى ربما كان هجّاء رديئا ، كاتبك هذا ، الذى يدعى سويفت !

استير : « غاضبة » سويفت عبقرى ! لكنه وقع في مصيدة . لقد سيق الى هذا البيت ، مغلق الفم ، ومحاصرا بجدران من عدم الفهم . تتجه الى النافذة وتفتحها

« نرى وجوه المواطنين تحدق الى الطبيب بلا مبالاة »

ها هم — الياهو الحقيقيون ! تمعن جيدا في وجوههم متبلدة الحس . لا شيء يحركهم ، لا شيء يثير مشاعرهم . سويفت مسجون خلف جدران من عدم الفهم . انه يستأجر ممثلين كي يوضحوا أفكاره للناس ، ولكن السلطات كانت اكثر دهاء — استأجرت جمهورا .

الحصار كامل . « تسحب الستائر » ولكني لا أضع اللوم على أحد .

الزمن تغّير ، يا سيدى . فمن يستجيب هذه الأيام للالماعات والايحاءات التي جعلت العميد واسع الشهره ؟ لقد فهموا الامر جميعهم منذ زمن طويل ولم يعد الموضوع مسليا ... لقد ضمر الوعى عند الناس !

وهذا ما يعذب سويفت . أتشك في أنه يمكن ان تحدث جريمة قتل ؟ انها تحدث بالفعل ! دون حاجة للخنجر أو للسهم . يمكنك أن تقتل بسلاح عدم الفهم . رويدا رويدا ، وبطريقة منهجية دون خرق قانون واحد . وهذا ربما حيث يقدّر لك أن تلعب الدور الرئيسي .

الوزير الأول والقاضي قد قاما بأداء واجبها قدر استطاعتها . ويمكنك أن تجهز على أى شخص ، يا سيدى . أى شخص يتمتع بصحة تفوق صحة العميد .

فترة صمت . يتجه الطبيب الى النافذة . يأتي صوت المطر عبر الزجاج المكسور

الطبيب : حسن جدا ، سوف أرحل من هنا .

استير : لست واثقة من أن هذا هو القرار الصائب . . . .

الطبيب : «مقاطعا» بلى ، هو الصائب . سوف أغادر . أنا طبيب . ووصية أبوقراط الاولى هي «عدم الضرر» . أنا لا أرغب في أن اكون سببا لهلاكه . ولماذا أكون ؟ فأنا لم أطلب ارسالي الى هنا . . . كنت أعيش في نوتنغهامشير الصغيرة الهادئة ، أمضي الى مهنتي كل يوم ، ولدى زوجة عادية وأطفال عاديون ، وأعالج مجانين عاديين ما كان على أن آتي أبدا الى هذا البيت الغريب ، الذى لا يعرف أحد لمن تم بناؤه . ألعنه بكل حماقته وغموضة ! لا شيء مقدّس هنا ! ليس الموت والحب والايمان سوى ذرائع للسخرية ! يكفي ! حان وقت الرحيل . لم أتمكن من مساعدة أحد ، ولكن على الأقل فأنا لم أفقد عقلي ! شكرا لله على هذا !

استير : «قلقة» لكني أرجوك أن تبقى . يعتقد العميد أنه يحتاجك بشدة .

الطبيب : غاضبا وكيف تعرفين ما يعتقده ؟

استير : من الصعب علّي أن أشرح لك كل شيء في الحال ، أيها الطبيب «تأخذ كتابا عن الرف» اقرأ كتاب العميد ، يا سيدى . فقد يتضح لديك شيء ما . «تضع الكتاب أمام الطبيب وتتجه الى الباب»

الطبيب : «ينظر اليها للحظة ، ومن ثم يصرخ غاضبا» : اخبرى العميد بأن كتابه حقق نجاحا مذهلا معي !
يلّوح بذراعه ويطوّح بالكتاب نحو النافذة

استير : « بعنف » العميد على حق تماما . يمكن للانسان أن يكون أسوأ من أى حيوان وحشى ! فالقرد تكسر المرايا لانها لاتحب أن تبصر وجوهها فيها ، ولكن تهشيم نوافذ الكاتب بكتبه الخاصه . لا يمكن أن يفكر بذلك سوى قوة شريره !

« تخرج »

« صوت المطر يزداد علوا . ينظر الطبيب من النافذة . الكتاب تمزق والريح تبعثر صفحاته . باتريك يندفع خلفها كالمجنون محاولا التقاطها . الطبيب يراقبه للحظة ، ومن ثم يهرع لمساعدته . وسرعان ما يعودان مبتلين ، ولكن متصالحين »

باتريك : « ينشر الاوراق على الموقد » : لا تهتم ، يا سيدى . . . سوف نجففها ونكويها ، ومن ثم نجمعها الى بعضها البعض . . . سوف يعود جديدا كما كان . . . .

الطبيب : « خجلا » اعذرني ، يا باتريك ! لقد خرجت عن طورى . . .

باتريك : لا تقلق ، يا سيدى ! الطبيب السابق رمى بنفسه مع الكتاب من النافذة .

ردة فعلك كانت عادية تماما . قال العميد أن واجبه « اغاظة العالم اكثر من تسليه » .

الطبيب : قل لي ، يا باتريك ، أيمكنك أيضا أن تسمع العميد متكلما ؟

باتريك : لقد فعلت ذلك مرات كثيرة ، يا سيدى .

الطبيب : كن صادقا .

باتريك : حسنا ، سأقولها بطريقة أخرى : انه يكاد لا يصمت .

الطبيب : « باحتراس » آه أغرب عن وجهى !

باتريك : حسن جدا ، يا سيدى «يتوقف بعد خطوة» لا حاجة للاستياء ، أيها الطبيب . أنت سألتني وأنا أجبتك .

الطبيب : وهل تريد أن تقول أن العميد يلغو ؟

باتريك : بالطبع لا ، يا سيدى . لا يمكن تطبيق هذه التسمية عليه اطلاقا .
العميد كفّ عن استخدام الكلمات . فهي تشوّه المعنى . خصوصا في هذا الوقت وهذا العصر . لقد قيل لنا الكثير من الاكاذيب . كما أننا نفكر بشيء ، ونقول غيره ، ونكتب ما يختلف عن هذا وذاك . . . . .
وهذا ما جعل العميد يتقدم خطوة الى الأمام . انه يعبّر عن نفسه بالأفكار ! وهذا أسمى اسلوب للاتصال بين الكائنات العاقلة ، دون آذان أو شفاه ! فأنت لا تفتح فمك حتى انه اتصال مباشر .

الطبيب : يجب أن أفهم . . . علمني ، يا باتريك !

باتريك : هذا ما أداوم على فعله يا سيدى . ولكن كل شيء يحتاج الى الوقت والصبر . فكّر كم بذلت أمك من جهد من أجل تربيتك والعناية بك ، وكم قلّدت الصغار فيما ينطقونه — فقط من أجل تعليمك الكلام !
ولكنها لتجعلك تحتفظ بالصمت ! ذلك يحتاج العمر كله ! أجل ، يجب أن نبدأ من البداية . أقرأ كتاب العميد .

الطبيب : ولكنه جدّ مملّ .

باتريك : «وكأنه يعلم طفلا غير مطيع» : لا ، انه ليس مملا ! لا تكن قليل الصبر بهذه الصورة ! حسن ، ها هنا طبعة خاصة للأطفال .

« يأخذ كتابا عن الرف » انها معدَّلة . ألق نظرة على الرسوم ، على الأقل ! انها رسوم جميلة .

تحت عيني باتريك التي تراقبة ، يقلّب الطبيب بضع صفحات . تنطلق موسيقىْ ناعمه . الطبيب يحول نظره الى الصوره المعلقة على الجدار ، ومن ثم يعود الى الرسوم التوضيحية في الكتاب

الطبيب : « بهدوء » قبعة .

باتريك : ماذا ؟

الطبيب : « يرفع صوته » قبعة .

باتريك : من أى نوع ، يا سيدى ؟

الطبيب : قبعة كبيرة ، وسترة ، سترة سفر .

باتريك : في الحال ، خلال لحظة « يهرع الى خزانة ، يفتحها ويخرج ستره سفر وقبعة »

الطبيب : « يختطفها ويغيّر ملابسه بعجلة ، هامسا » : أنا جاليفر !

باتريك : « يهمس » من ؟

الطبيب : « صارخا » أنا جاليفر ! من نوتنغهامشير ! هذا ما يقوله الكتاب : «كان لأبي ضيعة صغيرة في نوتنغهامشير» . طبيب من نوتنغهامشير ، لموِل جاليفر . . . لم لم أحرز ذلك من قبل ؟
يهرع الى المرآة أنا جاليفر ! يبدأ في الرقص ، يهرع الى بيانو صغير ويضغط مفاتيحه ويغني
في نوتنغهامشير ! في نوتنغهامشير ! أغبى من عرفت من أطباء ! في نوتنغهامشير !

باتريك : شكرا لله ! أخيرا ! « يمشي مشية المنتصر الى الباب » آنسه جونسون أخبار سارة ! الطبيب فقد عقله ! « يخرج »

الطبيب يواصل العزف ، تتحول الاصوات الى لحن ، والكلمات الى اغنية . يتابع غناءها حشد المواطنين عند النوافذ . . . تنتهي الاغنية بنغمات متهللة شديدة الابتهاج . في نوبة جنون يثب الطبيب الى عتبة النافذة ومن ثم يقفز الى الحديقة . يقابل صوت سقوط جسمه بموجة من التصفيق والهتاف ثم يعم الظلام خشبة المسرح ».

(٩) – صمت الطبيب سيمسون

« الظلام يتبدد تدريجيا . تبدأ الاشباح بالظهور . الأصوات تعود أيضا . . . شعور بأن هناك شفاء من النسيان . . . الطبيب يفتح عينيه ويجد نفسه مستلقيا على الأريكة في مكتب سويفت . استير وباتريك منحنيان فوقه »

استير : « تفحص الطبيب » : يا للعجب . . . لقد تغير وجهه .

باتريك : لاحظي بؤبؤى عينيه . لديه نظرة مختلفه فيها . ما أعمقها !

استير : « بلطف » كيف حالك الآن ، أيها الطبيب ؟ لقد كان خروجك من النافذة حميد العواقب .

« الطبيب يئن ثانية »

الأمر هين . مثل هذه الاشياء تحصل هنا . . . وأرجوك لا تتكلم .

باتريك : هو ذاك ، يا سيدى . جرب أن ترد بصمت . بالتفكير ! هذا ما أردت أن تتعلمه .

« يجلس الطبيب على الأريكة . يحدق تائها في باتريك ويهز رأسه »

لا ، لا حاجة لاستخدام الوجوه . النظر فقط .

« الطبيب ينظر اليه »

هذا سليم ! الآن أفهم . أنت تسألني ذهنيا : أى شرّ تبغيه ؟

رائع ! اشرحي الأمور للطبيب ، يا آنسة جونسون !

« يمضي الي النافذة ، يخرج منظاره ويسمح السماء »

استير : « همسا » أيها الطبيب . . . ليس لدى الوقت لشرح كل التفاصيل ، ولكن ان كنت مهتما حقا بحياة العميد ، فبمقدورك مساعدته !

باتريك : « منفعلا » اطرقي لبّ الموضوع ، يا آنسة جونسون . ليس لدينا متسع من الوقت ! انهم يحومون فوق الحديقة .

استير : « تنظر حولها بجزع » : هو يعني الجزيرة الطائرة ! نحن جميعا نتساءل ان كنت مذنبا أم أنهم مبعوثون قادمون من عالم آخر ؟ جاء الى هنا اليوم أناس اطلقوا على انفسهم اسم « زوار من المستقبل » اللابوتانيون . . .

« الطبيب يهز رأسه »

أجل ، يا سيدى ، انا أيضا هززت رأسي ولكنهم أقنعوني بأن ذلك حقيقي ، وأنهم قاموا برحلتهم من أجل أن يقابلوا العميد سويفت ، فهم يحتفلون هناك بالذكرى السنوية لمرور المئة الثالثة على موته . تساءلت أنا وباتريك ان كان الأمر خدعة . فقد يكونون من مرتزقة الوزير الأول ؟ فهل يمكن أن نعرّض العميد لمثل هذا الخطر ؟

« الطبيب يحدق فيها باذلا جهدا شديدا من أجل أن يفهم قصدها ، ومن ثم ينهض ويمضي الى المكتب »

باتريك : « مبتهجا » لقد فهمت ، يا سيدى ! انهم لا يعرفونه بالشكل . كنت سأجلس هناك بنفسي ، لكن عيناى لن تقدر على سبر أغوارهم . هذا ما قد يثير الشبهة .

استير : « تساعد الطبيب على الجلوس » : أجل ، هكذا . امسك هذا القلم بيدك اليمنى . هكذا يرسمه الرسامون عادة . والآن سوف ترتدى هذه العباءة .

باتريك : بسرعة ، آنسة جونسون ! الجزيرة تهبط على الأرض ! «يركض الى الطبيب ويضع المسدس أمامه»

عند الضرورة فحسب ، يا سيدى . ونحن سوف نكون قريبين منك ، خلف هذا الجدار .

استير : حماك الله !

« باتريك واستير يختفيان . نسمع موسيقى مبهمة . صوت حاد يزداد ارتفاعا . يسمع صوت تحطم وتنشق الجدران ويندفع مجموعة من الغرباء في لباس من النايلون والجلد الى غرفة المكتب . آلات تصوير تئز وأضوائها تومض . الزوار من لابوتا يحاصرون بالطبيب . يتقدم أحدهم فجأة للامام ويباشر الحديث واثقا من نفسه ، متظاهرا بعدم الارتباك في حضرة سيد البيت »

اللابوتاني : اليكم احترامى ، يا أصدقاء ! اليكم احترامى ! انتم في منزل جوناثان سويفت . ولد عام ١٦٦٧ ، توفي عام ١٧٤٥ . يحتّل منزلة خاصة بين الهجائين العظام القدامى . لا تلتمسوا لديه تفاؤلية رابليه المبهجه ، ولا تبحثوا عن سخرية فولتير اللبقة ، أو عن مذهب الشك المتحرر عند فرانس ... سويفت ساخر عنيف !

أحد الزوار : «بنظرة فزعة الى الطبيب» : هل أنت واثق من أنه أنه لم يلاحظ وجودنا ؟

اللابوتاني : لقد أوضحت ذلك سابقا – العميد عاجز . في سنواته الأخيرة كان مجنونا تماما . لاحظوا النظرة المحدقة الذاهلة ،

والوجه الجامد كليا ، والانعدام المطلق لاى ارتكاس !
« يخرج بسهولة خبيرة دبوسا ويخز الطبيب فـي كتفه »
« الطبيب لا يحرك أية عضلة »

أحد الزوار : هل هو مرض « منير » ؟

اللابوتاني : أكّد الخبراء ذلك . ولهذا أشك في أننا سنسبب أى ازعاج . نحن في مكان ما من حالة اللاوعى لديه . بالنسبة له نحن مجرد أطياف.

أحد الزوار : يا للمسكين ! لماذا لا يشبه أبدا صورة المرسومة ؟

اللابوتـانى : هل تقصد لوحات « جرفيز » فى المعرض الدولى ؟ انها ليست أصيلة. ان المظهر الحقيقي للعميد ليس الا واحدا من الألغاز التى حيّرت الدارسين حتى اليوم. « ينظر الى الطبيب بابتسامة » محيّر ! لم يرض أن يقف أبدا كى يرسمه الرسامون ، ولم يوقّع على كتبه الخاصة. بل وحتى مرّر للناشر مخطوطة جاليفر من تحت الباب ، غفل من اسم مؤلفها.

أحد الزوار : والام تعزو سخريته المريرة ؟

اللابوتـانى : الى العمر ! نهاية الاقطاع ، والنمو السريع للمجتمع البرجوازى ، الذى سرعان ما انعكست أفكاره عليه. وذروة كل هذا ، ضربات القدر..

أحد الزوار : أتعني ستيلا أم فانيسا ؟

اللابوتـانى : كلتاهما . امرأتان رائعتان أحبتاه ودمرّهما بأنانيته وقسوة قلبه. المخلوقتان البائستان رحلتا في ريعان الصبا !

زائرة تشبه

اسـتير : هذا ليس صحيحـا !

اللابوتـانى : عفوا ماالذى غير صحيح فيما قلته بالضبط ؟ أأنها ماتتا أم أنها كانتا اثنتين فقط ؟

« ضحك من الزوار »

الزائرة الشبيهه

باستير : « متقدمة للامام » : ليس مهما عدد النساء اللواتى قد يصادفهن الرجل فى سياق حياته. ليست المشكلة كم عددهن ، فهناك على الدوام واحدة – واحدة وحيدة ! كان الأمر هكذا على الدوام ، وسيبقى كذلك .

زائرة تشبه

فانيسا : وبالطبع ، أنت واثقة من أنها كانت ستيلا ؟

الزائرة الشبيهة

باستير : كيف حزرت ؟

الزائرة الشبيهة

بفانيسا : تبدين مثلها .

الزائرة الشبيهة

باستير : المظاهر لا تهم . هناك يوميات سويفت .

الزائرة الشبيهة

بفانيسا : وهل يمكن لاحد على وجه الاطلاق أن يصدق مايكتبه الرجل عن المرأة ؟ اذا حكمنا على الأمر من خلال صور فانيسا ، فقد كانت أجمل بكثير من غريمتها .

الزائرة الشبيهة

باستير : لكن الحكم على الأمر من خلال رسائلها فهى أقل ذكاء الى حد بعيد . « ضحك من الزوار الآخرين »

الزائرة الشبيهة

بفانيسا : لم نتجادل ونحن فى حضرة المنبع الأصلى ؟ فلنسأل العميد : ستيلا أم فانيسا ؟

« تتجه بعزم الى الطبيب »

اللابوتانى : « منزعجا » لكن العميد لا تتكلم اطلاقا !

باستير : نظرة واحدة ستكفى .

«الطبيب يخفض عينيه بخوف . همهمة من الزوار»

اللابوتانى : اليكم احترامى ! اليكم احترامى أيها الأصدقاء ! سوف لن نتخطى حدود اللياقة .

أحد الزوار : لكنك قلت أن القس لا يلاحظ شيئا .

اللابوتانى : «مرتبكا» ضمن الحدود ، بالطبع .

احد الزوار : كلا ، أعطنا جوابا محددا . هل نحن نمثل خيالا أمام عينيه أم لا ؟

اللابوتانى : أجل مجرد خيال ! ولكن لا داعى للذعر من ذلك . فلنكبح مشاعرنا ، ياأصدقائى ! انتقلوا الى الحديقة . ألقوا نظرة على أحواض الزهر.... وعلى البناء ... وعند منتصف الليل ، حين يدق الناقوس . اريدكم جميعا أن تجتمعوا فى الساحة أمام الكاثدرائية . ذاك سيكون أمتع مافى الأمر .

« الزوار ينسحبون . يبقى اللابوتانى ويتجه الى الطبيب »

اللابوتانى : رائع ، أيها الطبيب ! لقد أديت دورك بصمت مدهش .

« الطبيب لا يحر جوابا »

انت اذن تريد أن تنطق ؟ ألم ينته المشهد بعد ؟ «يهرع الى الخزانة ويصفق» رائع ، أيها العميد ! سوف يضحك الزوار كثيرا عندما يعرفون كيف خدعتهم . «يفتح باب الخزانه وينظر بداخلها» لكن أين مهرجنا؟ أنا واثق من أنه مختبىء فى مكان ما . «يغضب» من السخف التزام الصمت اكثر من ذلك ، أيها الطبيب . وهذا يعطى انطباعا سيئا . يبدو

أن العميد قد تعب من الضحك على معاصريه وقرر ان يضحك على الأجيال التالية له ، وهذه تجربة خطيرة ! أقول هذا كشخص اختصاصى ، كدارس لحياته وأعماله ، بصراحة متناهية انه لا يعدو كونه كاتبا متوسط الموهبة . ولم نأخذ منه الكثير . كان من الممكن أن اكرس عمرى لدكنز ... ثاكرى .... أو حتى غالسورفى ! ولكنى أبليت سراويلى جالسا فى المكتبات وقاعات التدوين ، أقرأ سويفت ، ومن ثم يرحب بى هكذا ! «يصرخ فى سويفت اللامرئى» أنت مؤلف منسى ، ياسيد ! كاتب نصوص تقليدى ، لا يقرأ له أحد أبدا ! أسأل اى انسان من هم الهوينوهمز ، أو الغلبدبريب ، أوالرويدنجاج ، النصف لم يسمع بهم ، والنصف الآخر لا يستطيع حتى ان يقدر على أن ينطق الأسماء .... «الطبيب يشهر المسدس ويصوبه على اللابوتانى الذى ينسحب ولكنه لا يلبث أن يعود ضاحكا» لا هذا مبتذل ! فلندع السيوف والمسدسات لوالتر سكوت ! ان اعماله زاخرة بها . سويفت اكثر بساطة من هذا . لاتقلق ، ما من أحد حاول قتله . خذ هذه منى كشخص اختصاصى . لقد مات بطريقة طبيعية ، من جراء نوبة قلبية عادية تماما . فى التاسع عشر من اكتوبر عام ١٧٤٥ . ان ذلك فى كل الموسوعات ، يمكننى أن أريك ....

«يتناول كتابا من حقيبته الجلدية ويضعه أمام الطبيب»
محاضر جلسات مجلس الأوصياء . الطبعة الأكاديمية . حسنا ؟

هل ستطلق النار أم ستصدقنى ؟

«الطبيب يخفض المسدس»
شكرا لك ! اعتقد الآن انني سوف اذهب الى الزوار. ان هؤلاء «العلماء العظام» يريدون على الدوام ان يحفروا علامتهم على الجدار فى كل عهد . وبعد ذلك يحاول المؤرخون حل لغز كيف تمكن أحدهم من استعمال قلم من اللباد فى القرن الثامن عشر ! «يخرج» «الطبيب يفتح الكتاب ويقلب فى صفحاته . باتريك واستير يهرعان الى الغرفة»

باتريك : «خائب الرجاء» : كان عليك أن تضغط الزناد ، أيها الطبيب ! ان كان هذا حقا شخصا من – من هناك ، فان الرصاصه لم تكن لتؤذيه نهائيا ، وان كان واحداً من رجال الوزير الاول ، افنها لم تكن لتؤذيه أيضا !

استير : «تفتح الكتاب وتقرأ ببطء وبصوت مرتفع» : «فى التاسع عشر من اكتوبر عام ١٧٤٥ توقف جوناثان سويفت عن الحياة . فى مساء اليوم السابق لوفاته أحس بوعكة غريبة ، كأنها الاحساس بالنهاية . وطبقا لذكريات أصدقاء العميد المقربين ، بدأ سويفت بالكلام الفعلى بعد سنوات عديدة من الصمت . وكانت أول كلمة نطقها هى «متى ؟» . «يفتح الباب فجأة . على العتبة يقف سويفت . استير تغلق الكتاب بسرعة وخوف»

(١٠) ـ الموت الأخير لجوناثان سويفت

سويفت : متى ؟
استير : لا أدرى عمّا تسأل ، أيها العميد ؟
سويفت : أنا واثق من أنّ هؤلاء الناس قد اعلموكم بالتاريخ المحدد.

الطبيب : « متجهما » كفّ عن هذا ! الهذر لا يناسبك . اعذرني ، ولكنك بدوت اكثر ذكاء بكثير وفمك مغلق .

سويفت : متى سأموت ، أيها الطبيب ؟

الطبيب : هذا سؤال تعوزه اللباقة على نحو مضاعف ! وحتى لوكنت أعرف ، فلن اخبرك ... هناك شيء يسمى أخلاقيات الطبيب . وأنا أقسمت اليمين .

سويفت : حسن جدا . دعنا نحاول فهم أحدنا الآخر في صمت . أنت تتعلم ذلك منذ وقت طويل ، وسوف تكافأ جهودك الآن .

« ينهض الطبيب بعجلة »

أليس غدا حقا ؟

الطبيب : أنا لم أقل هذا !

سويفت : « حزينا » سيكون غدا اذن ... التاسع عشر من اكتوبر ... ولأكون اكثر تحديدا؟ صباحا؟ أم مساء؟ أنا آسف ، ولكن عندما تتعلق الأمور بالموت . كل ساعة تكون ثمينة .

باتريك : « يائسا » لا تجب ، أيها الطبيب ! لا تفكر بذلك .

سويفت : اذن سيكون ذلك في منتصف الليل تماما . ما زال لديّ ساعتين .

باتريك : لقد طلبت منك أن تبقى صامتا ذهنيا .

سويفت : اصمتوا جميعا ، الآن ! لقد أخذتم ما يكفي من وقتي كما هو.

الانسان مع الموت هو الخاسر، لان الموت يعرف موعد حلوله ،... أما بالنسبة للانسان فهذا شيء غامض ... ولكني الآن واياه ندّ لندّ ! وما من أحد يعرف من الذى ستكون له الكلمة الأخيرة ...

« يأخذ الكتاب من استير » ما الذى يحرفونه عني؟

«يقرأ» «في التاسع عشر من اكتوبر كان منزل جوناثان سويفت مليئا بأصوات العويل...» من كتب هذا؟ وولبول؟ أم الوزير الأول؟

الأفّاك الوقح! لن يكون هناك شيء من هذا! لقد كررت ذلك مرات كثيرة حتى أتجنب مثل هذه التوافه. والساعتان طويلتان بما فيه الكفايه. سيكون لدينا الوقت الكافي للاستعداد، باتريك!

آنسة جونسون!

اجمعا كل الممثلين... كلّهم... أتفهماني؟

استير : بالطبع، أيها العميد.

سويفت : ادعوهم الى هنا. قولا لهم أنها آخر مرة يمثل فيها، كما أن هناك أمرا نريد أن نناقشه.

«يخرج باتريك واستير»

الطبيب : أجد سلوكك جدّ مخيب للأمل، أيها العميد. يبدو أنك تفعل كل شيء كي تجعل النبوءة تتحقق.

سويفت : على العكس! سوف نسفهها بصورة كاملة. وسوف تساعدني.

«يأخذ ورقة وقلما ويضعهما أمام الطبيب لتحترق مذكرات الوزير الأول الأحمق! سوف يحصل المؤرخون على مذكرات الطبيب المعالج.

الوثيقة القانونية التي لا يمكن دحضها!

الطبيب : لابد أن اذكّرك بأنني لن اكتب سوى الحقيقة.

سويفت : بالطبع! الحقيقة بأسمى معنى لهذه الكلمة. اكتب!

«أنا، الطبيب سيمسون، من نوتنغهامشير، استنادا الى حضوري حتى الدقائق الاخيرة من حياة مريضي جوناثان

سويفت من دبلن... في ساعة متأخرة من الليل، عشية ذلك اليوم المشهود التاسع عشر من اكتوبر عام ١٧٤٥ جاء بي العميد على نحو مفاجيء الى مكتبه وقال «أيها الطبيب! أرغب في أن اكتب تتمة لرحلات جالفير... الجزء الخامس من الكتاب. والاكثر أهمية! الفصل الأخير... الرحلة الى أرض الموت... وتلك الرحلة سأقوم بها بنفسي...» «يلاحظ أنّ الطبيب وضع القلم جانبا» لم توقفت عن الكتابة؟ هل حدث شيء؟

الطبيب : اهدأ، ايها العميد! ليس في صالحك أن تهتاج هكذا...

سويفت : «ساخرا» لقد صحت: «اهدأ، أيها العميد. ليس في صالحك ان تهتاج هكذا»، ولكن العميد أجاب، التهيج في صالحنا على الدوام!»

«يضع القلم في يد الطبيب»

الطبيب : «ساخطا» ولكنك شاحب اللون، ونبضك سريع جدا.

سويفت : «ساخرا» «ثم صمت ثانية:» ولكنك شاحب اللون، ونبضك سريع جدا!، ولكن العميد مدّلي رسغه «يرفع رسغه» واكتشفت أن نبضه كان منتظما تماما.... وتابع العميد، «عند منتصف الليل، عندما يدق ناقوس الكاثدرائية، سوف أبحر الى بلاد لم يزرها أحد قبلي ربما سوى دانتي. لقد وصف دانتي البلاد بقلم عبقرى، ولكن واحسرتاه!

بكآبة مفرطة. وأنا واثق من أنّ الكثير من الأشياء المسليه والسخيفة تحدث هناك، ولكن لا يتاح لكل انسان أن يشهدها. فالموت يهاب الظهور بمظهر سخيف! وهذه

هي نقطة ضعفه ... الموت ينأى بنفسه عن اولئك الذين يزورونه .... »

« يفتح الباب ، باتريك واستير يقودان الممثلين للداخل . نجد هنا الليليبتاني الثاني ، المارد جلم ، صمبدى ، والعديد من المواطنين»

باتريك : نحن جميعا مستعدون ، أيها الجليل ...

سويفت : « مخاطبا الممثلين » : عند منتصف هذه الليلة سوف أموت للمرة الأخيرة .

وهذا عرض تمثيلي هام أريده أن يكون مقنعا قدر الامكان... وعليكم أن تكونوا مضحكين بأقصى ما تستطيعون في تمثيلكم الحزن واذا ما ترنّحت ، عليكم جميعا أن تولولوا ...

الليليبتاني الثاني : أعليّ أن أولول أنا أيضا ؟ ... أنا ليليبتاني . لن يسمعني أحد قطّ .

سويفت : ليست مشكلة ! الليلة ولولتنا ليست للآخرين بل لأنفسنا ...

« يلقى نظرة شاملة على جلم » جلم ! يجب أن تذهب وتغير ملابسك هاتان الطوّالتان ليستا طويلتين بما يكفي لمثل هذا العرض المهيب .

جلم : « يضحك ويرفع بنطاله » : سأفضي اليك بسر، أيها العميد ...

هذه ليست طوالّتين، انهما ساقان ! لقد بدأت أنمو من جديد .

حقا وفعلا . وهذا ما سيجعل الأمور اكثر امتاعا !

سويفت : جيد ! «يتجه الى صمبدى» وأنت ياسيد صمبدى، سوف ترمقني بنظرة حزينة ... ولكن بها لمسة حسد- كم هم محظوظون بعض من يموتون ! بينما عليَّ أن أعيش وأعيش.

صمبدى : «حزينا» لكني أحسدك حقا، أيها العميد. أنت ستموت وستكتب كل الصحف. «مات سويفت» ولكن اذا متّ أنا، ما الذى يمكنهم أن يكتبوه. في تاريخ كذا وكذا ألمّ الموت بصمبدى...» وقد يفضلون أن يكتبوا «نوبدى».

سويفت : «معانقا صمبدى» : جيد ! قل هذه النكتة بصوت عال على قدر ماتستطيع . ستكون اشارة لى كى أسقط ! .... «للمواطنين» انتم سوف تنحنون فوق . وسيأتى الطبيب ويكتب تقريره . وسيكون هذا كل شيء ! وبعد ذلك أختفى . الى الأبد !

أحد المواطنين : ألا تريد حتى أن تعود ولتسمع التصفيق ؟

سويفت : ليس هذه المرة .

جلم : «متنهدا» قد لا يكون هناك أى تصفيق . فالجميع يعتقدون أنك أنت أيها العميد هو من يتمتع بالتلاعب بالعقل . والأمر الذى يريد الجمهور أن يعرفه هو من يحب من . ستيلا : فانيسا ؟ أم فانيسا : ستيلا ؟

سويفت : «بحزن» أجل . لست ماهرا فى خلق المشاهد العاطفية ... انها نقطة الضعف فى فنى .

باتريك : لاتقلل من شأنك . ياسيدى . وكأن كاتبا كلاسيكيا مثلك . ومتيم بذلك أيضا . لا يمكنه أن يكتب مشهد حب مؤثر ! لم لا يكون هناك مشهد عند المذبح ؟

والأرغن يعزف بكل طاقته ... وسوف تساعدك الآنسة جونسون .

سويفت : «متحولا الى استير» : أتساعدينني - ياستيلا ؟

استير : هل تخاطبني ، ايها الجليل ؟

سويفت : انت تشبهين الى حد بعيد تلك المرأة التي احببتها ... أود لو اناديك ستيلا عند الوداع . وأود أن نمضى كلانا الى المذبح في الكاتدرائية . ونجعل الأرغن يعزف ...

باتريك : «متلهفا» وهل ساستدعى الأسقف ؟

سويفت : ليس ضروريا . سأقوم بكل شيء بنفسي . خلال حياتي زوجت الكثيرين وباركت زواجهم . ولهذا لابد أن استحق اجراء شعائر الزواج لنفسي ولو لمرة واحدة فقط .

استير : « بحزن » اعفني من هذا ، أيها الجليل .... لا أعرف كيف أتظاهر... وأنت ايضا لا تعرف كيف تتظاهر. يمكن للمرء أن يخدع الأصدقاء أو الخدم ، ولكن ليس أمرأة تحبك ... أأنت راحل حقا !

سويفت : ليكن كذلك . لهذا فقد أردت أخيرا أن أضع كل شيء في مكانه المناسب

استير : افهم ذلك ... وسأساعدك ...«تتجه الى النافذة وتنادى» فانيسا !

« تظهر فانيسا »

فانيسا : هل طلبتني ، أيتها الممرضة ؟

استير : طلبك العميد . يريد أن يودعك ... ويريد... كيف أقولها ؟... يريد أن يحدثك بشيء هام ... أليس كذلك ، أيها العميد؟

« سويفت صامت »

يريد العميد أن يحسم الوضع الغريب الذى كنا فيه أنا وأنت وهو طوال سنوات عديدة. لقد اختار.. اتخذ قرارا...

فانيسا : وأعطاك مهمة الاعلان عن القرار؟ «لسويفت» ليست نكتة مستملحة جدا، أيها الجليل....
لقد أعجبت على الدوام برفاهة حس الدعابة لديك، ولكن هذه....
ليست جيدة... «للممثلين» ما رأيكم؟

جلم : لا، ليست.....

أحد المواطنين: قد تكون أكثر اثارة عندما نمضى فيها قليلا؟

«استير وفانيسا تندفعان فجأة وتتكلمان بانفعال وغضب الواحدة مقاطعة الأخرى»

استير : لا تقومى بمثل هذه الحماقة، يافانيسا. انه يحبك! أنا أعلم! عرفت ذلك لسنوات!.... انه يقرأ رسائلك مرة بعد مرة.... ويدندن أشعارا...

فانيسا : أهدأى! لقد أذللتنى بشهامتك! أنا لم أفهم صمت العميد بقدر مافهمته أنت.

استير : انه يحتاج اليك بصورة أقوى!

فانيسا : لست أنا، بل أنت!

استير : لقد تدبرت أمر مراسلاته على أكمل وجه. وأدرت البيت فى نظام تام. أما أنا فجرد ريفية! وطبيعتى مختلفه....

فانيسا : لا تنتقصى من قيمة نفسك بهذه الصورة! لقد جعلت البيت مريحا جدا وهيأت هذه الستائر الرائعة...

استير : ستائر شنيعة !

فانيسا : انها رائعة ! «ثانية تلجأ الى الممثلين» أنتم معى فيما أقول ! أية ستائر أجمل ؟

استير : «بيأس» ما أهمية الستائر ؟ «تجثو على قدميها أمام العميد» أيها الجليل ، ارحمنى ، تزوجها هى ، افعل !

«سويفت يكاد يتفوه بشيء ما ولكنه يترنح . الطبيب يهرع اليه»

الطبيب : «للمرأتين» انتما تقتلانه ...

سويفت : «يحاول أن يبتسم» : لقد حذرتكم : هذا المشهد لن ينجح أبدا . لقد كررناه لسنوات ... وظل يفتقر الى الوضوح . السخرية لا تؤدى مهمتها ، ولم يتفوق الهامى ابدا فى المجال العاطفى . اعذرونى !

« متحولا الى الممثلين » الحياة معقدة وهى تتمرد دائما على الموضوعات المنظمة . لقد أسرت كلتا هاتين المرأتين قلبي وليس لدى لا الحق ولا القدرة لتفضيل واحدة على الأخرى... سجّل هذا ، ايها الطبيب : «ستيلا وفانيسا وسويفت عاشوا على هذه الأرض !

أحبّوا بقدر ما استطاعوا ، وعانوا بقدر ما استطاعوا... لكن مقاصدهم كانت شريفة . ولا داعي لأن تحاول الاجيال القادمة استجلاء هذا اللغز فيكفيهما عذابا أن....»

«الناقوس يدّق . يظهر الليليبتاني الأول والشرطي البني عند باب المكتب المفتوح»

الليليبتاني الأول : حان الوقت ، ايها العميد !

سويفت : أجل ... أعلم ... «للطبيب» لاتبدو خائفا هكذا ، ايها الطبيب هكذا يجب أن يكون الأمر... أنا بين أصدقاء منهم من جاء ليودعني ومنهم من جاء ليرحب بي ... هو الأمر دوما هكذا !

« الناقوس يدّق بصوت أعلى . يتجه سويفت نحو الباب ، يتبعه المرأتان والممثلون والمواطنون بصمت» : هيا الى الطابق الأعلى ، ياسيدى . سترى المشهد بصورة أفضل من هناك . كما لوكنت في مقصورة في المسرح .

الطبيب : لا ، يمكنني رؤية كل شيء من هنا ...« يتجه الى المكتب ويغمس القلم في زجاجة المداد»

باتريك : « مصغيا لضجة الحشد » : اليوم يقام الجنّاز الرائع ! أحسٌ بذلك !

لقد فكر العميد مسبقا بكل هذا ....

« جلبة في الخارج »

هوذا ! لقد ترنح !

« تصفيق »

انهم يؤدون ذلك بشكل جيد ، لكنهم لا يضحكون كثيرا ... لم يعد الناس يفهمون الفن الرمزى !

« الحشد يهدر»

انه يسقط ! «ينظر من النافذة» انهم يحملونه ! وهو لا يتحرك .«يدير وجهه المبلل بالدموع الى الطبيب» بمقدورك أن تكمل الباقى بنفسك ، ياسيدى ... أنا لا أستطيع ... حتى الخدم لديهم طاقه للتحمل .

الطبيب : «يكتب» اندفعت الى الساحة ، والحشد يصرخ . لأجد جوناثان سويفت هناك .

مستلقيا على الأرض دون حراك ...
وضعت أصابعى على معصمه البارد ،
وأذنى على صدره الصامت ،
ولما هممت باعلان موته ،
فجأة رأيت عينه تومض ،
بغمزة عابثة جريئة .
وعندئذ ادركت أن أمامى ممثل
بلغ فى مهنته حدّ الكمال وأنجز
ماينشده الفن منه ،
لقد تمكن حقا من ايقاف قلبه وحياته ،
وما كان بمقدورنا أن نقرر هل هو حى أم ميت
وهذا ما أوضحته للمواطنين .
حمل الممثلون الجثة على الخشبة ،
واختفى النظارة .....

« الناقوس يدق بصوت أعلى »

– ستـــار –

(تمـت)



فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	– مانويل جاليتش	■ سمك عسير الهضم
٢	– جان انوى	■ القبرة (جان دارك)
٣	– هال انوى	■ البرج
٤	– تساو يو	■ عاصفة الرعد
٥	– هارولد بنتر	١ – الخادم الاخرس ٢ –التشكيلة او عرض الازياء
٦	– جون وبستر	■ الشيطانة البيضاء
٧	– تيرانس راتيجان	■ الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	– تييري مونييه	■ سباق الملوك
٩	– جون مورتيمر	■ استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	– فريدريش دونيات	■ النيازك
١١	– يونسكو – داموف – أراباال البـي	■ دراما اللامعقول
١/١٢	– أوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج – ١ ١ – مس جوليا ٢ – الأب
١٣	– نيقوس كازندزاكى	■ عطيل يعود
١٤	– بيتر فايس	■ أنشودة أنجولا
١٥	– اوليفر جولد سميث	■ تواضعت فظفرت
١/١٦	– موليير	(من الاعمال المختارة) موليير – ١ ■ مدرسة الزوجات ■ نقد مدرسة الزوجات ■ ارتجالية فرساي
١٧	– دوجلاس ستيوارت	■ عسكر ولصوص اونيد كيللي
١٨	– وليم شكسبير	■ العين بالعين
١/١٩	– أوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج – ٢ ■ الطريق الى دمشق – ثلاثية

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	– رومان رولان	■ ١٤ يوليو
٢١	– انجس ويلسون	■ شجرة التوت
٢٢	– تيرانس راتجان	■ روس اولورانس العرب
٢٣	– كارون دى بومارشيه	■ حلاق اشبيلية
٢٤	– وليم شكسبير	■ هاملت
٢٥	– نويل كوارد	■ الحياة الشخصية
١/٢٦	– سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل – ١
		■ نساء تراخيس
١/٢٧	– جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل–١
		١ – رجل الله
		٢ – القلوب النهمة
٢٨	– اتريكى خارديل بونثلا	■ ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢/٢٩	– اوجست ستردنبرج	(من الاعمال المختارة) ستردنبرج – ٢
		١ – الاقوى
		٢ – الرباط
		٣ – الجرائم
		٤ – موسيقى الشبح
٣٠	– بيتر شافر	■ اصطياد الشمس
١/٣١	– جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة – ١
		١ – حكاية فاسكو
		٢ – السيد بوبل
٣٢	– ه. و. فيرمان	■ انتصار حورس
١/٣٣	– جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو–١
		١ – بيوت الارامل
		٢ – العابث
٣٤	– فرناندو ارابال	■ ثلاث مسرحيات طليعية
		١ – قرافة السيارات
		٢ – فاندو وليز
		٣ – الشجرة المقدسة

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣/٣٥	– سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل–٢ ١ – اوديب الملك ٢ – اوديب فى كولون ٣ – اليكترا
١/٣٦	– جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو–١ ١ – اليكترا ٢ – لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	– يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو–١ ١ – المغنية الصلعاء ٢ – الدرس ٣ – جاك او الامتثال ٤ – المستقبل فى البيض ٥ – الكراسي
٣٨	– كوبر– تشيرشل– شارب مانج	■ مسرحيات اذاعية
٢/٣٩	– جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل ماسيل–٢ ١ – روما لم تعد فى روما ٢ – المحراب المضيء أو (مصباح النعش)
٤٠	– انطون تشيخوف	١ – شيطان الغابة ٢ – الخال فانيا
٢/٤١	– جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة – ٢ ١ – مهاجر بريسبان ٢ – البنفسج
١/٤٢	– لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو– ١ ١ – ديانا والمثال ٢ – الحياةعطاء ٣ – لـذة الامانة
٤٣	– جيمس جويس	١ – ستيفن «د» ٢ – منفيون

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج– ٤ ١ – الغرماء ٢ – الاميرة البيضاء ٣ – عيد الفصح
٣/٤٥	سوفوكل	(من الأعمال المختارة) سوفوكل – ٣ ١ – انتيجونة ٢ – اجاكس ٣ – فيلوكتيت
٣/٤٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو– ٢ ١ – سدوم وعمورة ٢ – مجنونة شايو
٣/٤٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة)يوجين يونسكو–٢ ١ – ضحايا الواجب ٢ – مرتجلة الما ٣ – سفاح بلا كراء
٢/٤٨	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة)جبرييل مارسل–٣ ١ – طريق القمة ٢ – العالم المكسور
٤٩	البـى شيزجال	١ – الحلم الامريكى ٢ – الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	١ – الارض كروية
٢/٥١	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو–٢ ١ – السلاح والانسان ٢ – كانديدا ٣ – رجل المقادير
٥٢	هارولد بنتر	■ الحارس
٥٣	مارتنيس دى لاروزا	■ ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	■ مأساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايخو	■ القصة المزدوجة للدكتور بالمي

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٦	– يوربيديس	■ الكترا
		■ أورستيس
٥٧	– فيكتور هيجو	■ هرناني
٥٨	– ليو تولستوي	■ المستنيرون
٣/٥٩	– موليير	(من الاعمال المختارة) موليير٢
		١ – سجاناريل
		٢ – المتحذلقات المضحكات
		٣ – مدرسة الازواج
		٤ – الطبيب الطائر
		٥ – غيرة الباربوييه
٦٠	– روبرت شيروود	■ الطريق الى روما
٦١	– فيليب باري	■ المهرجون
		■ قصة فيلادلفيا
٦٢	– ماكس فريش	■ قصة حياة
٦٣	– جون جي	■ اوبرا الصعلوك
٦٤	– دنيس ديدرو	■ الابن الطبيعي
٥/٦٥	– اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج – ٥
		١ – رقصة الموت
		٢ – الطريق الكبير
٦٦	– ولیم ساروبان	١ – ايام العمر
		٢ – سكان الكهف
٦٧	– اندريه شديد	١ – العارض
		٢ – بيرينيس المصرية
٢/٦٨	– لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو– ٢
		١ – المعصرة
		٢ – اداء الادوار
		٣ – ابو زهرة بفمه
٦٩	– البير كامي	■ حالة طوارئ

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٧٠ ١	– برتولت برشت	■ (من الاعمال المختارة) برتولت برشت– ١
		١ – حياة جاليليو
		٢ – طبول فى الليل
٧١	– جراهام جرين	■ غرفة المعيشة
٧٢ ٢	– يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو –٣
		١ – المستأجر الجديد
		٢ – اللوحة
		٣ – الخرتيت
٧٣ ٢	– جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة –٣
		١ – السفر
		٢ – سهرة الامثال
٧٤	– ثورنتون وايلدر	■ نجونا باعجوبة
٧٥ ٢	– جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو–٢
		١ – تلميذ الشيطان
		٢ – هداية القبطان براسباوند
٧٦	– وليم شكسبير	■ الملك لير
٧٧	– وول شوينكا	■ الطريق
٧٨	– الكسي اربوزف	■ عزيزى مارات المسكين
٧٩	– هوجو فون هوفانزتال	■ زفاف زبيدة
٨٠ ١	– جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن –١
		١ – مياه بابل
		٢ – رقصة العريف
٨١	– رومان رولان	■ روبسبير
٨٢	– سنكا	■ أوديب
٨٣ ١	– يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل –١
		١ – ظمأ
		٢ – عبودية
		٣ – ضباب
		٤ – مبحرون شرقا الى كارديف

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
		٥ – فى المنطقة
		٦ – بدر على البحر الكاريبى
٨٤	– جان كوكتو	١ – فرسان المائدة المستديرة
		٢ – الآباء الاشقياء
٨٥	– تيرانس راتيجان	١ – تعلم الفرنسية بلا دموع
		٢ – الممر المضيء
٨٦	– فديريكو غرسيا لوركا	■ العرس الدموي
٨٧	– كالدرون دي لاباركا	■ الحياة حلم
٨٨	– وليم شكسبير	■ يوليوس قيصر
٨٩	– يوربيديس	١ – الفينيقيات
		٢ – المستجيرات
٩٠	– الكسندر استروفسكي	■ لكل عالم هفوة
٩١ ٢	– جون ملينجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج– ١
		١ – ظل الوادي
		٢ – الراكبون الى البحر
		٣ – زفاف السمكري
		٤ – بئر القديسين
٩٢ ٢	– جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج– ٢
		١ – فتى الغرب المدلل
		٢ – ديردرا فتاة الاحزان
		٣ – عندما غاب القمر
٩٣	– آرثر ميللر	١ – كلهم ابنائـي
		٢ – الثمن
٩٤ ٢	– برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت– ٢
		١ – أوبرا القروش الثلاثة
		٢ – لوكلوس
		٣ – بعل

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٩٥	– وليم شكسبير	■ تيمون الاثيني
٩٦	– كارلو جولدوني	■ خادم سيدين
٩٧	– أوجين لابيش	■ رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	– لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو– ٤
		■ فتاة في سن الزواج
		■ مشاجرة رباعية
		■ تخريف ثنائي
		■ الثغرة
		■ لعبة الموت
٣/٩٩	– لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو– ٣
		١ – ست شخصيات تبحث عن مؤلف
		٢ – كل شيخ له طريقة
		٣ – الليلة نرتجل
١/١٠٠	– تشيكا مانسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا مانسو– ١
		١ – انتحار الحبيبين في سونيزاكي
		٢ – معارك كوكسينجا
٢/١٠١	– يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل – ٢
		١ – وراء الافق
		٢ – انا كريستي
٢/١٠٢	– جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن – ٢
		١ – الحرية المغلولة
		٢ – صعود البطل
١٠٣	– وليم شكسبير	■ مأساة عطيل
١٠٤	– جانلزكوبر. كولين فينيو	١ – الطلبة المشاغبون
		٢ – قبل يوم الاثنين الموعود
		٣ – الليلة يوم الجمعة
١/١٠٥	– برانيسلاف نوشيتش	١ – حرم سعادة الوزير
		٢ – الدكتور

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٦	– دنيسن جونستون	١ – من المسرح الايرلندي – القمر فى النهر الاصفر
١٠٧	– تيرانس راتيجان	١ – بينما تسطع الشمس
		٢ – المهرجون
١٠٨	– فرانسواز ساجان	■ الحصان المغمى عليه
		■ الشوكة
٣/١٠٩	– تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكاماتسو – ٢
		■ الصنوبرة المجتثة
		■ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	– بروتولت برشت	(من الاعمال المختارة) بروتولت برشت –٣
		■ الام شجاعة
		■ السيد بنتلا وخادمه ماتي
٥/١١١	– يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو–٥
		■ الغضب
		■ الملك يموت
		■ العطش والجوع
١١٢	– وليم شكسبير	■ العاصفة
١١٣	– وليم كونجريف	■ هكذا الدنيا تسير
١١٤	– الفونسو ساسترى	■ الدراما الثورية الاسبانية
		■ فصيلة على طريق الموت
		■ النطحة
		■ الكمامة
٣/١١٥	– يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل–٣
		١ – مرحلة الواقعية الاولى
		٢ – رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	– جان كوكتو	■ الآلة الجهنمية
١١٧	– يوهان فلفجانج جيته	■ جيتس فون برلشجن

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٨	– جان راسين	■ مأساة طيبة او الشقيقان فيدر
١١٩	– جان انـوى	■ ليوكاديا
١/١٢٠	– جاك اوديبرتي	■ الشر يستطير ■ الصابرون
٢/١٢١	– جاك اوديبرتي	■ مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	– بويرو باييخو	■ اسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٣	– بويرو باييخو	■ حلم العقل
١٢٤	– وليـم شكسبير	■ مكبث
١٢٥	– جوزيف اوكونر	■ القيثارة الحديدية
١/١٢٦	– ادواردو دى فيليبو	١ – عائلتى الاشباح
١٢٧	– جيمس بروم لين	■ الزملاء الثلاثة
١٢٨	– برانيسلاف نوفيتس	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف ■ ممثل الشعب
١٢٩	– آرثر ميللر	■ الناشزون
١/١٣٠	– ايفـان سرجيفتش فوجنيف	■ العائلة ■ خيال مريض
١٣١	– روبرت بولت	■ الكرز المزهر
١٣٢	– يوهان فلفجانج جيته	■ توركواتوتاسو
١٣٣	– المر رايس	■ مشهد فى الطريق
١٣٤	– ولـيم كونجريف	■ حبا بحب
١٣٥	– روبرت بولت	■ تحيا الملكة
١٣٦	– الفريد دى موسيه	■ لورانزاشو
١٣٧	– يوجين اونيل – ٤	(من الاعمال المختارة) ■ الامبراطور جونز ■ الغوريلا
١٣٨	– سينيكا	■ هرقل فوق جبل أويتا

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٣٩	– موس هارت جورج كوفمان	■ دنيا زوال
١٤٠	– ليبر كورنى	١ – ميليت ٢ – السيد
١٤١	– دونا ماكونا	■ قفزة فى الخلاء أو ■ العجوز المراهق
١٤٢	– برانسيلاف نوشيتس	■ المستر دولار
١٤٣	– جورج كيلى	■ زوجة كريج
١٤٤	– كارلو جولدونى	١ – التطلع الى المصيف ٢ – مغامرات المصيف ٣ – العودة من المصيف
١٤٥	– فريدرش شلر	■ اللصوص
١٤٦	– ميجيل ميورا	■ ثلاث قبعات كوبا
١٤٧	– جون فورد	■ القلب المحطم
١٤٨	– ت.س. اليوت	■ جريمة قتل فى الكاتدرائية
١٤٩	– ت.س. اليوت	■ حفل كوكتيل
١٥٠	– كارل توكماير	■ نقيب كوبينيك
١٥١	– يوجين اونيل –٥	■ الاله الكبير براون
١٥٢	– فرديناند اويونو هارولد كمل	مختارات من المسرح الافريقى–١ ١ – الخادم ٢ – الزنزانة
١٥٣	– ايفان تورجينيف	■ شهر فى القرية
١٥٤	– فرانس جريليا رتسر	■ الجدة الاولى
١٥٥	– برانيسلاف نوشيتس	■ المرحوم
١٥٦	– روبرت بولت	■ النمر والحصان
١٥٧	– موريل سيارك	■ حملة الدكتوراه
١٥٨	– فريدرش شلر	■ فلهلم تل ١٨٠٤
١٥٩	– ادواردو دى فيليبو	■ عيد الميلاد فى بيت كوبيللو
١٦٠	– كاريل تشابيك	من مسرح الخيال العلمى –١ انسان روسوم الآلى

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٦١	– تولستوى	■ أول من صنع الخمر
		■ ليلة تبكى الملائكة
١٦٢	– بيتر ليرسون	■ زواج لونرو هاديك
١٦٣	– جول رومان	■ سلطان الظلام
١٦٤	– ايفان تورجينيف –٢	■ الاعزب
١٦٥	– فديريكو غريسيه لوركا	■ الانسة روزيتا العانس أو لغة الزهور
١٦٦	– يوريبيديس	١ – افيجينياف اوليس
		٢ – افيجينياف تاوريس
١٦٧	– يوريبيديس ٤	٣ – اندروماخى
		٤ – الطروادبات
١٦٨	– فرانس جزيليارتسر –ج٢	■ سابفو
١٦٩	– ادواردو دى فيليبو	■ أصوات الاعماق
١٧٠	– رجب تشوسيا	■ أبو الهول الحى
١٧١	– ايفان تورجنيف –٤	■ الريفيـة
١٧٢	– المرل . رايس	■ الآلة الحاسبة
		من المسرح الافريقى –٢
١٧٣	– جيمس نجوجى	■ الناسك الاسود
	سام توليا موهيكا	■ ولد للموت
	توم أومارا	■ الخروج
١٧٤	– ديتر فورته	■ مصرع كاسبر هاوزر
١٧٥	– الكسندر استروفسكى	■ الغابة
١٧٦	– جول رومان	■ الدكتاتور
١٧٧	– أنطونيو جالا	■ خاتمان من أجل سيدة
١٧٨	– أوجو بتى	■ انحراف فى قصرالعدالة
١٧٩	– نيجل دنيس	■ أغسطس من أجل الشعب
١٨٠	– يوريبيديس –٥	■ عابدات باخوس
١٨١	– يوريبيديس –٦	■ ايـون
١٨٢	– يوريبيديس –٧	■ هيبوليتوس

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٨٣	– طوباز	■ مارسيل بانيول
١٨٤	– راى برادبورى	من مسرح الخيال العلمى –٣ ■ عمود النار ■ الكلايدوسكوب ■ نفير الضباب
١٨٥	– اوجو بتى	■ جريمة فى جزيرة الماعز
١٨٦	– بيير كورنى	■ ميديا
١٨٧	– كليفوره اوديتس	■ الفتى المذهب
١٨٨	– تانكرد دورست	■ عصر الجليد
١٨٩	– بيير كورنى	■ الكـذاب
١٩٠	– جون جولزود ذى	■ العدالة
١٩١	– الفريد جارى –١	(من الاعمال المختارة) ■ أوبو ملكا
١٩٢	– الفريد جاري – ٢	(من الاعمال المختارة) ■ اوبو عبدا
١٩٣	– الفريد جاري –٣	(من الاعمال المختارة) ■ أوبو فوق التل ■ أوبو زوجا مخدوعا
١٩٤	– ماكسويل اندرسون	■ ما ثمن المجد
١٩٥	– لوبى دى بيجا	■ نجمة اشبيلية
١٩٦	– عزيز نسين	■ وحش طوروس – ١
١٩٧	– عزيز نسين	■ افعل شيئا يامت
١٩٨	– كوبينا سكيي	من المسرح الافريقى –٣ ■ المتعامون
١٩٩	– كويسى كاي	من المسرح الافريقى – ٤ ■ هرج ومرج فى المنزل
٢٠٠	– شكسبير	الجزء الاول من حكاية ■ الملك هنري الرابع
٢٠١	– هنريك ابسن – ١	(من الاعمال المختارة) ■ الاشباح

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠٢	– هنريك ابسن – ٢	(من الاعمال المختارة)
		■ البطة البرية
٢٠٣	– هنريك ابسن – ٣	(من الاعمال المختارة)
		■ اعمدة المجتمع
٢٠٤	– ادواردو دى فيليبو	■ نابولى مليونيرة
٢٠٥	– توماس دكر	■ عطلة الاسكافى
٢٠٦	– فرناندو ارابال	■ الحبل المتهدل او اغنية القطار الشبح
٢٠٧	– مارسيل بانيول	■ ماريوس
٢٠٨	– تولستوى	■ جثة حية
٢٠٩	– كليفورد اودتيس	■ السكين الكبير
٢١٠	– هارولد بنتر	■ الارض الحرام
٢١١	– الكسندر استروفسكى	■ مذنبون بلا ذنب
٢١٢	– يوجين اونيل	■ رحلة النهارالطويلة خلال الليل
٢١٣	– ادوارد بيرسى وريجينالد دنهام	■ سيدات متقاعدات
٢١٤	– جون جولزوورذى	■ الهارب
٢١٥/١	– اريستوفانيس	■ السحب – ١
٢١٦	– اريستوفانيس	■ السحب – ٢
٢١٧	– وول سوينكا	من المسرح الافريقى – ٥
		■ مجانين واختصاصيون
٢١٨	– وول سوينكا	من المسرح الافريقى – ٦
		■ الموت وفارس الملك
٢١٩	– ڤيلستينو جورستيا	■ لون بشرتنا
٢٢٠	– ألان–رينيه لوساج	■ توركاريه
٢٢١	– يوكيو ميشيما	■ السيد دى ساد
٢٢٢	– هارولد بنتر	■ الايام الخوالي
٢٢٣	– صوفي تريدويل	■ الآلـة
٢٢٤	– تساويوى	■ شروق الشمس

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٢٥	– فيليمير لوكيتش	١ – الحياة المديدة للملك اوزوالد ٢ – المؤامرة
٢٢٦	– الكسندر استروفسكي	■ العاصفة الرعدية
٢٢٧	– ليون تولستوى	■ الضوء يسطع فى الظلام
٢٢٨	– اليخاندرو كاسونا	■ سيدة الفجر
٢٢٩	– ج . ب . بريستلى	■ منحنى خطر
٢٣٠	– فريدريك شيلر	■ توراندوت
٢٣١	– هنري افوري – جيمس اين هنشو	١ – الجمعية الادبية ٢ – جواهر المعبد
٢٣٢	– جيته	■ فاوست – ١ الجزء الأول – المقدمة
٢٣٣	– جيته	■ فاوست – ٢ الجزء الثاني – النص المسرحي – ١
٢٣٤	– جيته	■ فاوست – ٣ الجزء الثالث – النص المسرحي – ٢
٢٣٥	– ماريو فراتي	١– القفص ٢ – الانتحار
٢٣٦	– يان سولوفيتش	■ ملكة الليل في بحر حجري
٢٣٧	– جون ويدمان	■ الناحية الهادئ
٢٣٨	– جييوم ابولينير	■ كازانوفا
٢٣٩	– جييوم ابولينير	■ نهدا تريزياس لون الزمن
٢٤٠	– الكسندر استروفسكي	■ وظيفة مربحة
٢٤١	– غونكور ديلمان	■ مطعم القردة الحية
٢٤٢	– بيتر ترسون	■ الخزان العظيم
٢٤٣	– ج . ب . بريستلي	■ كنت هنا من قبل
٢٤٤	– هنريك ابسن	■ بيت آل روزمر
٢٤٥	– هنريك ابسن	■ حورية من البحر
٢٤٦	– هنريك ابسن	■ أيولف الصغير

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤٧	– وليم شكسبير	■ بيركليس
٢٤٨	– براين فرايل	■ حرية المدينة
٢٤٩	– سوفوكليس	■ بنات تراخيس
٢٥٠	– جواد فهمي باشكوت	١– المرآة ٢– اليقظ دائماً
٢٥١	– غريغوري غورين	■ البيت الذي شيّده سويفت

المترجـــم :

ثائـر ديب : من مواليد اللاذقية فى الجمهورية العربية السورية ، حائز على شهادة (الليسانس) فى آداب اللغة الانجليزية من جامعة دمشق ، له عدة مقالات مترجمة فى عدد من الدوريات العربية وكتاب مترجم قيد الطبع فى بعض دور النشر السورية ، كاتب للقصة القصيرة والشعر .

المراجـــع :

د . أحمد البكـرى : من مواليد القاهرة فى ج . م . ع حاصل على الدكتوراه من انجلترا فى اللغويات التطبيقية . ترجم عددا من الكتب فى القواعد الانجليزية للطلبة العرب . له أبحاث منشورة بالانجليزية مثل التحليل اللغوى لظاهرة التقديم والتأخير فى الشعر ، مدخل الى مناهج الأسلوبيات التطبيقية ، المستويات اللغوية لظاهرة اللبس ، الظروف والحال فى الانجليزية المعاصرة .

رقم الايداع : ٥٧٩٤ / ١٩٩١

الاشتراكات

الجهـــة	قيمة الاشتراك
البلاد العربية	٤,٠٠٠ دنانير كويتية
البلاد الأجنبية	٥,٠٠٠ دنانير كويتية

تحول قيمة الاشتراك بالدينار الكويتي لحساب وزارة الاعلام بموجب حوالة مصرفية خالصة المصاريف على بنك الكويت المركزي ، وترسل صورة عن الحوالة مع اسم وعنوان المشترك الى :

وزارة الاعـــلام
الأعلام الخارجي

ص . ب (١٩٣)
الرمز البريدي 13002
الكـويت

الثمـن

الكويت	٢٥٠	فلسا	ليبيا	٢٥	قرشا	مسقط	٢٠٠	بيسه
السعودية	٣	ريالات	المغرب	٣	دراهم	اليمن ج	٢٠٠	فلس
الاردن	٢٥٠	فلسا	تونس	٣٠٠	مليم	اليمن ش	٣	ريالات
سوريا	٣	ليرات	الجزائر	٣	دنانير	البحرين	٢٥٠	فلسا
لبنان	٣٠	ليرة	القاهرة	٣٠	قرشا	قطر	٣	ريالات
			السودان	٢٠٠	مليم	الامارات	٣	دراهم

مطبعة حكومة الكويت

فى العـدد القـادم

ميـدان بـيركلى

تأليف : جون بولدرستون   ترجمة : يوسف الشاروني

فكرة الترحال عبر الزمن ، للماضى أو المستقبل ، تمثل حلما للانسان على المستوى الفلسفى ، وعلى المستوى الأدبي ، فتطلع الانسان الأزلي نحوالتحرر من قيود الزمن ، يعبر عما تفرضه عليه محدودية الوقت ، بكل ما يرتبط بها من معطيات اجتماعية وفكرية . وكذلك فانها تعطي الفرصة للفنان ، على مستوى الأدب ، أن يتحرر من الشكل التقليدي الواقعي للنص الأدبي ، وربما يكون هذا منطلقا لابداعه الأدبي ، واتصاله بالانسان فى شتى العصور . وهذا ما اختاره مؤلفنا جون بولدرستون في مسرحيته هذه والتى هى مزيج من الفنتازيا القائمة على ما يشبه قصص الخيال العلمى . فبطلنا بيترستانديتسن ، يتوق للسفر الى الماضى لانقاذ حبيبته المتخيلة هيلين . ومع ان الانتقال الى ابعد من مائة عام الى الوراء يحدث له ، الا ان وسيلة ترحاله هي حالة عقلية ، وليست مادية مثل آلة الزمن فى رواية هـ . ج . ويلز مثلا . فالمؤلف يوظف أسلوب تيار الوعى لنقل بيتر الى الماضي . ولذا فهو يبد كمعجزة بالنسبة لاجداده أفراد أسرة زوجة جده فى الماضي . « فبيتر الجديد جاء من نفس الغرفة التي جرت فيها أحداث عام ١٧٨٤ ، مع أنه ينتمى لعام ١٩٢٨ » . والجميع حائرون في التعامل معه لانه في لحظات ينسى فيخبرهم عن المستقبل ، مقارنا انجلترا بأمريكا من خلال الاجداد المهاجرين واحفادهم القساة الافظاظ ، ولكن الرحلة لم تحدث الا في عقل انسان جالس فى منزل مطل على ميدان بيركلي يعيش حالة من الحنين الى الماضى والوطن .

فى هـذا العـدد

البيت الذى شيده سويفت

تأليف : غريغورى غورين **ترجمة : ثائر ديب**

يحاول غريغورى غورين ان يتجنب الوقوع تحت تأثير سيرة جوناثان سويفت . ولكنه لا يستطيع الخلاص من تقديم بعض الاشارات المتعلقة بحياة سويفت ، بل انه يحيلنا إلى مراجع واقعية مثل أبيات شعرية مشهورة من قصيدة « موت الدكتور سويفت » التى كتبها سويفت نفسه ، ومع ذلك يظل الأثر الأكثر وضوحا من موروثه سويفت بارزا من خلال تركيز غورين على كتابه « رحلات جاليفر » . ولذلك فمسرحيتنا هذه تمثل مسرحية بالمعنى الشامل ونوعا من اللعبة ، مع أسماء وموضوعات معروفة جيدا . ومثل هذا الأسلوب المسرحى ليس جديدا على مسرح القرن العشرين ، بل هى متأثرة بالمسرح الفرنسى العقلانى ، حيث يختلط الكوميدى بالتراجيدى ، والذى يميل اليه مؤلفنا غورين ، منذ مسرحيته « انسوهير وستراث » . « البيت الذى شيده سويفت » اذن ليست معاصرة بمعنى انها تستمد موضوعها ومادتها مما يجرى من أحداث الآن . ولكنها وثيقة الصلة بموضوعها الحاضر الذى تمكن غورين من ان يعكسه على الحياة وعلى الانسانية بشكل عام . لقد كان من الاسهل على غورين ان يسلك سبيل إعادة وتكرار الدعابات والنكات والسخرية والتهكم التى خلفها لنا سويفت . لكنه يملك وفكرا شاملا ، ولذلك فهو يملك ما يقوله لنا .

